ثقافة الاستهانة

دراسة نقدية في اللسانيات والمعاجم العربية

تأليف
الدكتور
خالد فهمي
كلية الآداب – جامعة المنوفية

إيتراك للنشر والتوزيع

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠٠٤

رقم الإيداع

٢٠٣٤٤

ايتـــراك للنشـــر والتـــوزيع

طريق غرب مطار ألماظة عمارة (١٢) شقة (٢) ص.ب : ٥٦٦٢

هليوبوليس غرب – مصر الجديدة

القاهرة ت : ٤١٧٢٧٤٩ فاكس : ٤١٧٢٧٤٩

إهداء

إلى أبي في جوار رب كريم

وقد كان نموذجا فريدا من الرجال في تضحيته وعطائه

رحمه الله وغفر له ورضي عنه.

وإلى أربعة من رفاق الغربة طالما أعانوا وهونوا من آلامها:

إلى: أمل أحمد إبراهيم، وصبَاح طه شرف،

وعدنان عبد اللطيف، وإبراهيم عجاج.

خالد فهمي

مقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله ، ولا يغفل عن شيء من صفات كماله ، اللهم لا تمنعنا عن العلم بمانع ولا تعقنا عنه بعائق [1].

وبعـد ، فهـذه مجموعـة مقالات في نقد بعض الأفكار والآراء في الدراسـات اللغوية أو اللسانية من جانب وفي نقد عدد من الكتابات في مجال المعاجم العربية الأحادية .

وهـي مقـالات تهدف إلى تعرية واحد من أسوأ ما شاع في التأليف المعاصـر في بعض جوانبه ، وهو جانب الزراية والاستهانة بجهود السابقين مـن علماء الأمة في مجال اللغة على وجه التحديد ، وتظهر هذه الزراية أو الاسـتهانة فـي التنكر لجهودهم أو إهمالها والادعاء تعاليًا أو جهلاً بعدمها ، وقلة قيمتها أو تخلفها .

كمـا تظهر هذه الزراية أو الاستهانة في عدم العودة أصلاً إليها وهي مصادر عالية في بابها عندما يؤلف معاصر كتابًا في مجالها .

وبعـض هـذه المقـالات الـنقدية تحاول تعري أو تفضح عددًا من المقولات التي تهدف إلى التكريس للعولمة ، أو الهيمنة الغربية ومحو الهوية الثقافية .

وهـذا الكـتاب بمقالاته الأربعة يرى في نفسه حلقة أولى يرجى أن تكـون موصـولة في هذا الباب المهم ، فالمراجعات باب خطير من العلم ، يهـدف إلـى تقويـم الآراء والأفكـار والنظريات كما يهدف إلى بيان قيمة الكـتابات والمؤلفات والتحقيقات المعاصرة ، وحسب هذه المراجعات أن تعيد الـثقة بمـا وصـل إلينا مسطورًا عن أئمة التأليف عندنا ، وحسبها كذلك أن

---

[1] هذا من دعاء أبي المعالي الجويني إمام الحرمين، وهو مما أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء، وهو ما أذاعه ونشره المرحوم الدكتور محمود الطناحي في مقدمة تحقيقه لكتاب (النساء الصوفيات المتعبدات) للسلمي.

تحــرك بعضًا من الماء الراكد في محيطاتنا العلمية ، وحسبها أخيرًا أن تهز الثقة ولو قليلاً في الوافد من الغرب علينا . والله من وراء القصد .
القاهرة في ٢٤/١٠/٢٠٠٣ م

خالد فهمي

التأليف في معاجم مصطلحات أصول الفقه

في العربية

بين القديم والحديث

التأليف في معاجم مصطلحات أصول الفقه

في العربية

بين القديم والحديث

(مفتتح)

يشـــيع في كتابات الكثيرين من الباحثين المعاصرين اتهام السلف من علمـــاء الأمة بالتقصير في مجال التأليف في العلوم التي تخصص فيها هؤلاء النفر من الباحثين ، إما تلميحاً أو تصريحاً ، من باب منح الشرعية لأعمالهم العلمـــية المعاصـــرة من جانب ، ولتسويقها أو ترويجها لدى جمهور القارئين من جانب آخر .

ولـــيس يصـــح شيء من ذلك من عموم الباحثين ، فضلاً عن أنه لا يصح بدرجة أكبر من العلماء الدعاة .

ومـــع إيمانـــنا الـــتام بندرة معاجم المصطلحات الشرعية الإسلامية المعاصرة إذا ما قورنت بمثيلاتها مما وصل إلينا عن علماء الأمة من السلف رضـــي الله عنهم في مجال المعجم الفقهي ، والأصولي ، والحديثي تحديداً ، ومع إيماننا كذلك بتخلف هذه المعاجم الاصطلاحية الشرعية المعاصرة إذا ما حوكمـــت إلـــى أصول صناعة المعجم والمعجمية في اللسانيات المعاصرة ــ فإنـــنا لا نـــتفق أو نسلم مع الأستاذ غازي التوبة فيما ذهب إليه ، وقرره في مقالـــه : (لماذا لم تتطور العلوم الشرعية خلال القرنين الماضيين ؟) ؛ حيث يرى أن سر تأخر هذا التطور في العلوم الشرعية راجع إلى ثنائية :

١ــ انقســـام المـــدارس والمعاهد العلمية في البلدان العربية إلى دينية ومدنية (وهو واحد من آثار الاحتلال الغربي لبلداننا).

٢ــ واستيلاء هذه الدول على الأوقاف الإسلامية (١).

ذلك أن السر الحقيقي في تأخر هذه العلوم الشرعية ، وعدم تطورها ، وعدم إفادتها من معطيات العلوم المعاصرة راجع بالإضافة إلى الثنائية التي ذكرها

الأستاذ غازي التوبة ــ إلى الهمة المتقاعسة التي أصابت الكثيرين من علماء الأمـــة المعاصرين . أو هو راجع إلى ما أحب أن أسميه استعارة من المفكر الإســـلامي الجزائري المعاصر الأستاذ مالك بن نبي ــ رحمه الله ــ القابلية للاستعمار . أو ما يسميه الأستاذ علال الفاسي: الاستعداد للاستعمار .

بالإضـــافة إلـــى عدد من أمراض القلوب التي تتسرب إلى أفئدة عدد غـــير قلـــيل مـــن هـــؤلاء العلمـــاء المعاصرين من مثل العجب بأعمالهم ، والاســـتهانة والـــزراية بتراث الأمة . وهو اتهام قاسٍ ولكنه صحيح إلى حد بعيد .

(أ)

خـــذ مثلاً مما أخبرتك به من شأن اتهام المعاصرين لعلماء الأمة من الســـلف فـــي مجـــال التألـــيف في معاجم المصطلحات الشرعية ؛ الفقهية ، والأصولية ، على وجه التحديد .

يقـــول الدكـــتور حمدي عبد المنعم شلبي ، أستاذ الفقه المالكي بكلية الشرعة والقـــانون ، بجامعـــة الأزهـــر الشريف (فرع دمنهور) في مجال التعريف بكـــتابه : (دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك) رضي الله عـــنه : " والدلـــيل بذلـــك يعتبر ***الأول من نوعه*** الذي يضم مصطلحات ومؤلفات وأعلاماً ، نحسبها تخدم المكتبة الإسلامية الفقهية " (٢) !

وفـــي هذه العبارة الموجزة إهدار مروع لتاريخ طويل قام به الفقهاء المســـلمون قديمـــاً وأثبتـــناه في كتابنا : (تراث المعاجم الفقهية في العربية : دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية) (٣) .

فقد عرف المعجميون الفقهاء المسلمون السابقون اتجاهاً معجمياً قرن المصطلحات الفقهية بالأعلام الدوارة في كتب القوم الفقهية .

وظهرت في إطار هذا الاتجاه مدرستان :

الأولـــى ــ رتبـــت معاجمهـــا وفـــق ترتيب أبواب الفقه للمذهب الذي تشرح مصـــطلحاته ســـميناها : بمدرسة الترتيب الفقهي العَلَمي (بفتح العين واللام نسبة إلى العلم) ، وقد جاء من هذه المدرسة :

(أ) معجـم اللفظ المستغرب من شواهد المهذب ، للقلعي اليمني المتوفى سنة ٦٣٠هـ .

(ب) ومعجـم المطلـع علـى أبـواب المقنع ، للبعلي الحنبلي المتوفي سنة ٧٠٩هـ .

الثانية ــ رتبت معاجمها ترتيباً هجائيا علَميًا ، وقد جاءنا من هذه المدرسة :

ــ تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ .

أضـف إلى هذا أن في العبارة التي رمى بها الدكتور حمدي شلبي، وذكرتها لك في صدر كلامي هنا إهدارا كذلك لجهود العلماء المالكية في هذا المـيدان؛ إذ وصل إلينا من معاجم مصطلحات الفقه المالكي قديما على وجه التحديد، ما يلي :

(أ) لغـات مختصـر ابن الحاجب، للأموي المالكي المتوفى سنة ٦٠٨ هـ، وهو مرتب ترتيبا هجائيا ألفبائيا، وفق منطوق الكلمة أو شكلها النهائي ووفق ترتيـب حـروف الهجـاء في المشرق العربي ، وهو المنهج الذي ارتضاه الدكتور حمدي شلبي، وإن أطلق عليه المنهج الأبجدي !

(ب) شرح حدود ابن عرفة، للرصّاع المالكي المتوفى سنة ٨٩٤ هـ

(ج) شرح غريب ألفاظ المدونة، للجبي المتوفى بعد القرن الرابع الهجري ؟

(د) غرر المقالة شرح غريب الرسالة (رسالة أبي زيد القيرواني)، للمغراوي المتوفى بعد القرن السابع الهجري ؟

وكـل ذلك قد وصل إلينا ونُشر محققا، باستثناء المعجم الأول الذي لم يزل مخطوطا [٤].

وإهـدار كل ذلك التاريخ هو ما أسميت بعضه متابعة للأستاذ محمود محمـد شـاكر ــ رحمه الله وبرّد مضجعه ــ بمرض الاستهانة بتاريخ أمتنا والزراية برجالاتها [٥].

خــذ مثلا آخر من هذا المفتتح من شأن الأمر نفسه الذي أخبرتك به الآن، ندخــل بــه أيضــا إلى الحديث عن معاجم المصطلحات الأصولية في العربية، موضوع بحثنا .

يقول الدكتور محمود حامد عثمان في مقدمة معجمه (القاموس القويم فــي اصــطلاحات الأصــوليين): " تعد معرفة اصطلاحات الأصوليين من الأمــور المهمــة والجلــيلة لكــل مشتغل بالعلوم الشرعية، خاصة علم الفقه والأصول؛ لذا رأيت أن أجمع هذه المصطلحات في كتاب خاص حتى يستفيد مــنه الباحــثون، وطلــبة العلم، والدارسون خاصة أنني قد بحثت في الكتب المؤلفــة فــي اصــطلاحات الأصوليين، ***فلم أجد سوى كتاب: (الحدود في الأصــول)***؛ للإمــام الحــافظ أبــي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، المتوفى سنة ٤٧٤ هـ " [٦].

والأمــر نفســه يقرره الدكتور قطب مصطفى سانو في مقدمة كتابه: (معجــم مصــطلحات أصــول الفقه)، حيث يقول: " ولكن ***لم يقم أحد بوضع معجــم لمصطلحات أصول الفقه***. وربما كان الصارف للعلماء عن ذلك (هو) صعوبة العمل، والإغلاق الذي يحيط مصطلحات الأصول " [٧].

هــذان مــثلان فقــط من الباحثين المعاصرين المتخصصين في علم أصــول الفقه، أحدهما عرف معجما أصوليا واحدا جعله من مصادر معجمه الــذي ظهر للنور في عام ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م والثاني لم يعرف أيًا من هذه المعــاجم الأصــولية، ثــم زاد على ذلك اتهام العلماء السابقين بأنهم صرفهم الإغــلاق والصــعوبة المحيطة بالمصطلحات الأصولية عن التأليف في هذا المجــال المعرفــي الخطــير، وهو اتهام بشع لا يليق بعامل في مجال العلم الشرعي ، لا علمياً ولا أخلاقياً .

ولا أدري مــتى كانت الصعوبة أو الإغلاق صارفة لعلماء الأمة عن التأليف في مجال علمي ما ؟

وكل الذي أدريه أن تاريخ التأليف عند المسلمين إنما هو تاريخ ممتد في طلب الجدة والابتكار .

(أولاً)

التأليف في المعاجم الأصولية العربية

قديماً

أخـذ الاعتـناء بالمصطلح الأصولي في تاريخ التأليف عند العلماء المسلمين أشكالا متعددة هي كما يلي :

١ــ شرح المصطلحات الأصولية في مقدمات مؤلفات علم أصول الفقه نفسه بـدءًا من الإمام الشافعي رضي الله عنه مؤسس هذا العلم في كتابه الرسالة ، وهـو الكـتاب الذي اعتنى به وحققه محدث العصر .الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله ــ وحتى يومنا هذا .

إذ أفرد العلماء في مقدمات أبواب كتبهم حديثًا لشرح مصطلحات كل بـاب أصولي ، أو عن طريق إفراد العلماء جزءًا في مقدمات هذه المؤلفات يشـرحون فـيه هذه المصطلحات على اعتبار أن ذلك من المقدمات اللازمة لـتمام مؤلفـاتهم ، هـو ما ترى مثلا له في كتاب الإمام ابن حزم الظاهري رضـي الله عنه (الإحكام في أصول الأحكام) حيث أفرد في مقدمته فصلا لتعريف الألفاظ الدائرة في هذا العلم ؛ علم أصول الفقه .

٢ــ إيـراد المصطلحات الأصولية في إطار معاجم المصطلحات العامة؛ أي التي جمعت مصطلحات العلوم الإسلامية الشرعية والحِكْميّة الدنيوية المختلفة التي عرفتها الحضارة الإسلامية العربية .

وهـذه المعاجم الاصطلاحية العامة هي كما يلي (مرتبة.ترتيبا زمنيا تصاعديا من القديم إلى الحديث) [٨]:

أــ مفاتيح العلوم للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ الذي عقد بابا مستقلا هو الباب الأول من القسم الأول ، جعله خاصاً بالمصطلحات الفقهية والأصولية. وقـد خلـط فيه بين المصطلحات ، الفقهية ، والأصولية ، وهي سمة بارزة للتأليف في هذا المجال المعرفي ، في هذا الزمان الباكر .

ب ــ التعريفات ، للشريف الجرجاني المتوفي سنة ٨١٦هـ . وهو مرتب ــ هــو والمعجمــان اللذان يليانه (رقم د، هـ) وفق الترتيب الهجائي المشرقي الألفبائــي الذي يراعي شكل الكلمة أو منطوقها النهائي من غير تجريد أو رد للجذور .

ج ــ مقالــيد العلــوم فــي الحــدود والرسوم، للإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ . وهــو فــي منهجه مرتب ترتيباً موضوعياً، بمعنى أنه كمفاتيح العلوم قد أفرد باباً للحديث عن مصطلحات ذلك العلم.

د ــ التعريفات، لابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ .

هـ ــ التوقــيق علــى مهمات التعاريف، للمناوي المصري المتوفى سنة ١٠٣١هـ .

و ــ الكليات ، لأبي البقاء الكفوي المتوفى سنة ١٠٩٤هـ وهو مرتب ترتيبًا هجائــيًا ألفبائــيًا مشــرقيًا ، راعــى فيه مع الحرف الأول الحروف الثواني والثوالث في باب الهمزة ، ثم أخل بذلك بعد هذا الباب الأول !

ز ــ كشــاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، المتوفى سنة ١١٥٨هـ . وهو مرتب ترتيبًا هجائيًا ألفبائيًا جعل الأبواب فيه للحرف الأول من المصطلحات، ثم راعى بعد ذلك الحرف الأخير وليس الحرف الثاني ، بمعنى أن مصطلحاً كمصطلح (الفرض) تجده في باب الفاء مع الضاد وليس مع الراء.

٣ــ أمــا ثالــث أشــكال التألــيف في المصطلحات الأصولية فهو إفراد هذه المصطلحات الأصولية بمعاجم خاصة بها.

وقــد وصــل إلينــا فيما قادني إليه البحث ***ستة معاجم*** وليس معجمًا واحدًا كما زعم الدكتور محمود حامد عثمان فيما نقلته لك سابقًا .

وســوف أعــرض هــذه المعاجم الأصولية مرتبة ترتيباً زمنياً وفق سنوات وفيات مؤلفيها من القديم إلى الحديث صعودًا مع حركة التاريخ .

(أ)

كــتاب الحــدود في الأصول ، أو الحدود والمواضعات ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني المتوفى سنة ٤٠٦هـ . وقد حققه الأستاذ محمد

السـليماني . ونشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة ١٩٩٩م وقد ضم ما يقرب من مائتي مصطلح .

(ب)

كتاب الحدود في الأصول ، لابن خلف الباجي الأندلسي المالكي المتوفى سنة ٤٧٤هـ. وقد حققه الدكتور نزيه حماد . ونشره في حمص من سوريا سنة ١٣٩٢هـ . ثم أعادت تصويره دار الآفاق العربية بالقاهرة سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م. وادعـت أنهـا الطبعة الأولى وهي تعمية وتغرير بالقارئ الكريم ، وإغفال لجهود الآخرين وسطو عليها !

(ج)

(كـتاب) كشـف الـنقاب الحاجب من مصطلح ابن حاجب ، لابن فرحون المالكـي المـتوفى سـنة ٧٩٩هـ وقد حققه ونشره الأستاذ حمزة أبو فارس والدكـتور عـبد السلام الشريف. ونشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت ١٩٩٠م .

وهـذان المعجمـان الأخـيران (ب ، ج) ضما ما يقرب من مائة وستين مصطلحاً أصولياً موزعة مناصفة بينهما.

(د)

(كـتاب) بيان كشف الألفاظ (التي لابد للفقيه من معرفتها) ، لشهاب الدين الأبذي المصري المالكي المتوفى سنة ٨٦٠هـ. وقـد حققـه صـاحب هذا البحث الدكتور خالد فهمي . ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ٢٠٠٢م.

وهو يضم ما يقرب من مائتي مصطلح أصولي.

(هـ)

(كتاب) الحدود الحنفية ، لعبد الوهاب البنواني المتوفى سنة ٨٦٠هـ.

وهـو المعجـم الأصـولي الـذي ما يزال مخطوطاً . ومنه نسخة في مكتبة الإسـكندرية ، بمكتـبة عزيـز سوريال تحت رقم (٤٥) . وقد نسخت منه نسـخة لنفسي . وأظن أنه انتقل مع مخطوطات أخرى إلى قسم المخطوطات في مكتبة الإسكندرية الجديدة .

(كتاب) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، للشيخ زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٦هـ . وقد حققه الدكتور مازن المبارك. ونشرته دار الفكر المعاصر في بيروت سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م بالتعاون مع مركز جمعة الماجد الثقافي بدبي .

وهو يضم مثل سابقيه ما يقرب من مائتي مصطلح أصولي.

وهذه المعاجم الأصولية التراثية الستة التي مر بك بيانها قد رتبت المصطلحات فيها جميعًا وفق ترتيب الكتب الأصولية نفسها ، أو هي مرتبة وفق منهج سميته منهج التداعي الدلالي أو الكتل الدلالية ؛ بمعنى أن ذكر مصطلح أصولي معين يستدعي المؤلف معه المصطلحات الدائرة في فلكه ويشرحها بجواره .

فمثلاً أنت واجد مصطلح (الفرض) في أي من هذه المعاجم الأصولية محاطًا ببقية مصطلحات الحكم الشرعي الأخرى من مثل : الواجب والمندوب والمكروه والمحرم . وهو منهج أقرب إلى ما سمي في اللسانيات الدلالية المعاصرة بالحقول الدلالية ؛ أي جمع الألفاظ التي يربطها رابط من دلالة في حيز واحد .

وقد اجتهد محققوها في صنع فهارس هجائية ألفبائية للمصطلحات الواردة فيها ؛ تيسيرًا على الباحثين ، وتسهيلاً على المستخدمين .

ثانياً
التأليف في معاجم المصطلحات الأصولية في العربية حديثًا

عرف المحدثون كذلك التأليف في معاجم المصطلحات الأصولية ، ونحسب أن نشير إلى أنها جميعًا اتجهت إلى تبني المنهج الهجائي المشرقي الألفبائي التقليدي الذي يسمى في بعض الدراسات اللسانية المعجمية المعاصرة للمنهج الأبتثي ؛ نسبة إلى : أ ؛ ب ؛ ت ؛ ث ... إلخ .

وهـو منهج سوغ ظهوره السهولة والتيسير بعد أن غبر الناس زمانًا يـرون فـي المـنهج الـذي ابتدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ في معجمه العين ـ صعوبة وعسرًا ؛ نظرًا لأنه مرتب وفق منهج صوتي رتبت فيه الأصوات من أقصى الحلق إلى مقدمه ، مع مراعاة نظرية التقاليب ، أو مـا يمكـن أن يسمى بتطبيقات أولية لنظرية الاحتمالات بغية حصر المهمل والمستعمل من الكلام العربي ، ثم ترتيب الألفاظ بعد ذلك وفق نظام الأبنية مبتدئًا بالثنائي .

وقد ظهر التأليف في المنهج الهجائي في أوائل القرن الثالث الهجري على يد أبي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦هـ في معجمه الجيم ، ثم جاء مـن بعـده ابـن دريد الأزدي المتوفى ٣٢١هـ وطبقه على معجمه جمهرة اللغـة، ثـم جـاء من بعده الزمخشري ٥٣٨هـ وأرسل قواعد ذلك المنهج الهجائـي كمـا يعـرفه الناس اليوم ، مرتبًا المداخل أو الألفاظ خارجيًا على أبـواب تمـثل حـروف الهجـاء من الهمزة إلى الياء ، مع مراعاة الترتيب الداخلـي للألفاظ على النظام نفسه . وقد شاع ذلك المنهج والتأليف المعجمي العربـي المعاصر ، وارتضته المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية كما ركن إليه الأفراد المعجميون ؛ نظرًا لسهولته ويسره بالنسبة للمستخدمين .

وقـد اتجه أصحاب المعاجم الاصطلاحية من المعاصرين إلى اتباع هـذا المـنهج الهجائي التقليدي المشرقي الألفبائي مع تعديل يسير هو ترتيب الألفـاظ أو المصـطلحات وفق شكلها النهائي أو منطوقها التي هي عليه من دون تجـريد ، أو رد إلـى الجـذور اللغوية التي اشتقت منها هذه الألفاظ أو المصطلحات مبالغة في طلب التيسير على عموم المستخدمين لهذه المعاجم ، والـذي يفـترض في بعضهم ـ كما يتخيل صانعو هذه المعاجم ـ أنهم على غير علم بأوليات علم الصرف العربي .

وهـذا المنهج الهجائي الألفبائي الذي يرتب الكلمات وفق منطوقها أو شـكله النهائي معروف في تراثنا المعجمي العربي من لدن معجم التعريفات للجرجانـي المـتوفى ٨١٦هـ ، وهو معجم مصطلحي عام ، وقد سبقه إلى

التألــيف على هذا المنهج أبو محمد الأموي المالكي صاحب معجم لغات ابن الحاجب المتوفى سنة ٨٠٦هـ وهو معجم فقهي .

والمعــاجم الأصــولية المعاصرة جاءت في مجملها قريبة من حجم المعاجم الأصولية القديمة ؛ بمعنى أن كثافة المصطلحات أو المداخل في هذه المعــاجم المعاصرة كانت قريبة من كثافتها في المعاجم التراثية ، مما يسقط دعــوى اتهــام المعــاجم الأصــولية التراثية بالنقص ، كما أن هذه المعاجم المعاصــرة في مجملها متخلفة بالقياس إلى أصول صناعة المعجم . وسوف نرتبها هي الأخرى ترتيباً زمنيًا بحسب أسبقية ظهورها كما يلي:

(أ)

(كتاب) حدود أصول الفقه للشيخ خليل حداد بدر مصطفى الخالدي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ ، وهو غير مطبوع إلى الآن فيما علمت [٩].

(ب)

القاموس القويم في اصطلاحات الأصوليين ، للدكتور محمود حامد عثمان وقد نشرته دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤١٦هـ / ١٩٦٦م .

يقــول المؤلــف عن منهج بناء معجمه (ص ٦) : " وقمت بترتيبها (أي المصــطلحات الأصولية) على حروف الهجاء من الألف والباء والياء .. إلخ ؛ تسهيلا لتناولها الطالبين ، وتيسيرًا لتعاطيها للراغبين ".

(ج)

حول معجم أصول الفقه للدكتور محمد المختار ولد أباه (الموريتاني) وقــد نشــرته مجلــة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجزء (٨٢) لشهر المحرم سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

وقد رتبه المؤلف على المنهج نفسه الذي أشرنا إليه وإن كان وقع فيه بعــض الخلط في ترتيب مصطلحاته ومداخله حيث أورد ــ مثلاً ــ مصطلح (الأداء) قبل مصطلح (الإباحة) كما أورد مصطَلح (الإجازة) في غير موطنه!

(د)

موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين للدكتور رفيق العجم.

وقد نشرته مكتبة لبنان سنة ١٩٩٨م في مجلدين الأول من (أ إلى ع) والثاني من (غ إلى ي) وهو مرتب على المنهج نفسه ، وإن كان ضمنه عددًا من الأمور المهمة في مقدمته من مثل حديثه عن

١ـــ نشأة علم أصول الفقه

٢ـــ مضمون العلم

٣ـــ هدف الموسوعة ومميزاتها ومنهجها

٤ـــ مصادر الموسوعة

٥ـــ لائحة الرموز المستعملة في الموسوعة

وقد أحسن المؤلف نفسه بخروجه عن مفهوم المعجم فسماه موسوعة؛ لأنه توسع في إيراد الآراء والخلافات ، والمسائل ، وليس ذلك كله من عمل المعجم.

وعلى الرغم من ضخامة الموسوعة فإنها قد خلت من الاعتماد على أي مـــن معاجم المصطلحات الأصولية التراثية أو المعاصرة السابقة له زمنيًا مما تحدثنا عنه سابقًا، مما ينال من قيمتها إلى حد ما .

كمـــا أن هـــذه الموسوعة خلت من الاعتماد على تراث المصطلحات العامـــة ، أو المصـــطلحات الفقهـــية ، أو معـــاجم مصطلحات علم الكلام ، وأصـــول الديـــن ، ومصـــطلحات الحديـــث النبوي الشريف ، ومصطلحات المـــناطقة المســـلمين ، علـــى وفرة فيها في تراثنا العلمي ، وهي كلها علوم أسهمت في تأسيس علم أصول الفقه ، وتأسيس مصطلحاته .

(هـــ)

معجـــم مصـــطلحات أصول الفقه ، للدكتور قطب مصطفى سانو ، ومراجعة الدكتور محمد رواس القلعجي . ونشرته دار الفكر المعاصر في بيروت ودار الفكر في دمشق سنة ١٤٢٠هـــ / ٢٠٠٠م .

وقـــد رتـــبه كما يقول هو في مقدمته (ص ١١) وفق : " تصنيف الكلمـــة كمـــا يلفظهـــا لافظها من غير تجريد ، ولا رد ـــ في الحرف الأول منها " .

وقـد قلـل من قيمة هذا المعجم تهاونه في توثيق المصطلحات التي أوردها ، وإن علل لذلك قائلاً : " وقد أعرضت صفحًا عن توثيق التعريفات، وذكـر مصـادرها بأرقامهـا وصفحاتها ؛ وذلك اعتدادًا بأن القصد من هذا المعجـم المتواضـع هـو ـ عـون القـارئ علـى فهم المعنى المراد من المصطلح "!

وحسبي أن أرد الباحث الكريم إلى حقيقة تقرر أن العلم عند المسلمين ما هو إلا تاريخ طويل لطلب الدليل .

(و)

الـتعريفات الأصـولية في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، للدكتور محمـد الرحيلـي . وقد نشرتها مجلة جامعة أم القرى في جزئها الثاني من المجلـد (١٥) فـي العدد (٢٥) لشهر شوال ١٤٢٣هـ ديسمبر ٢٠٠٢م ص ٥٥٥ إلى ص ٦١٨ .

وهـو مرتـب علـى المـنهج نفسه وقدم له بمقدمة موجزة بيَّن فيها اعتراض شيخ الإسلام ابن تيمية على تعريف الحد عند المناطقة .

وبعد ، فهذا مجموع ما وصل إلينا من معاجم أصولية ، وهو مجموع يبين جهد القدماء المتهمين على ألسنة المعاصرين ، على الرغم مما لم يتوفر لهـم مما توفر للمحدثين والمعاصرين إذا ما قورن بجهد المعاصرين ، وهي كلها جهود محمودة مشكورة يرجى من الباحثين والدعاة ألا يغفلوا عن الإفادة منها ؛ لأن أي حركة علمية شرعية وفقهية ينبغي أن تسير منضبطة ، وليس كـتحرير المصطلحات عمومًا والمصطلحات الأصولية خصوصًا شيءٌ يقوم بهذه المهمة الجليلة.

الحواشي

(1) انظـــر المقال في مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٥٥٣ الصادر في الأسبوع الأول من ربيع الأول ١٤٢٤هــ / ٣١ مايو ٢٠٠٣م .

(2) صفحة الغلاف الأخيرة لكتاب دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك، للدكتور حمدي شلبي ، طبعة ابن سينا سنة ١٩٩٠م بالقاهرة .

(3) طبعة إيتراك سنة ٢٠٠٣م بالقاهرة .

(4) راجع كتابنا تراث المعاجم الفقهية في العربية صفحة ٢٢ وما بعدها.

(5) راجـــع مقدمة طبعة أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله ، طبعة الخانجي بالقاهرة.

(6) صفحة ٦ من طبعة دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤١٦هــ / ١٩٩٦م

(7) ص ١١ من طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤٢٠هــ/ ٢٠٠٠ م

(8) راجـــع المعلومـــات الوراقـــية والتوثيقـــية (الببليوجرافية) لهذه المعاجم كتابنا تراث المعاجم الفقهية في العربية صفحة ٥٠ وما بعدها.

(9) راجـــع : العلماء الذي لهم إسهام في علم أصول الفقه ، للدكتور سعد ناصر الشثري ، بمجلـــة الدرعـــية السعودية العدد (١١/١٢) صفحة ٩٦ فقرة ٣١ الصادر في أكتوبر / يناير ٢٠٠٠م / ٢٠٠١م.

كتاب

(بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب)

لابن التركماني المارديني ٦٨٣-٧٥٠هـ

دراسة نقدية

كتاب

(بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب)

لابن التركماني المارديني ٦٨٣ - ٧٥٠هـ

دراسة نقدية

(مفتتح)

تحقــيق النصــوص مســلك صــعب ومهمة خطيرة؛ لا لأنها هي المقدمة الواجــبة لأية حركة علمية، وحسبها بذلك خطرا وجلالا ، ولكن لأنها إعادة إحياء نص أصبح أمانة في أعناقنا، ولا سبيل إلى استفتاء صاحبه الذي ورثه لنا .

وعملــية تحقــيق النصــوص هي الاطمئنان الكامل أو شبه الكامل إلى أن كــتابًا مــا أصبح صالحًا للاعتماد عليه في الاستنباط والتحليل والمناقشة ، واتخاذه قريــنة مؤيــدة لما نبغي من نتائج . وهو بهذا يحتاج إلى خبرة ومعرفة قيمة فيمن يقــوم بــه ؛ لأن تحقيق النص وإعادة بعثه ليست خطوة واحدة وينتهي الأمر ، بل هــي عملــية تحتاج إلى معرفة بالنسخ ، وفارق ما بين كل واحدة منها ، وترتيب ذلــك كلــه علــوًا ونفاســة بدءًا بنسخة المؤلف ، أو نسخة مقروءة عليه أو نسخة علــيها إجــازة مــنه ، أو نســخة مــنقولة عن نسخته أو نسخة مكتوبة في حياته وعصره ، أو نسخة لأحد العلماء المشهود لهم بالعلم ... إلخ!

ثــم الأخذ في نسخ المخطوطات والمقابلة فيما بينها ، ثم القيام على تحقيق مــا فيها من معارف واستشهادات بعرضها على مصادرها الأصيلة ، موثقين ذلك كلــه بالدلــيل . والتحشــية على ما يستحق أن يحشى عليه ، والتعليق على قضايا الــنص وتصــحيح مــا عساه يكون غير صحيح من غير هجمة على النص ، أو مــبادأته بتخطئة ، بل يجب التريث في رمي النص بالخطأ وألا يكون ذلك إلا بعد نهــوض الدلــيل يقيــنًا ؛ والقــاعدة التــي ينبغي أن تحكمنا في هذا المضمار هي

" الشـــك فـــي النفس قبل الشك في النص " على ما قرره المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه الرائد (مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين).

ثـــم تأتي خدمة ذلك النص بمقدمات تظهر قيمته العلمية في نطاق المؤلفات المماثلـــة والـــترجمة لمؤلفـــه ، وصنع الفهارس الفنية الشاملة ؛ لتيسير الإفادة من معارفـــه ، ومـــا تضمنه من علوم . وكل ذلك يحتاج إلى صبر ، ومعرفة بالمكتبة العربـــية فـــي مختلف فنونها ، وتمرس بأسلوب مؤلفيها ، وإدراك ما مر به الخط العربـــي من تطور ، وهي أمور يجب ألا تهولك أو أن تقذف بالفزع في روعك ، فهـــي ممكنة إن شاء الله لمن ثابر وصبر وأخذ نفسه بخطة محكمة في قراءة تراث هذه الأمة الشريف .

وقـــد نهـــض بهـــذا العـــبء رجال عرفوا قيمة هذه العلوم فعاشوا حياتهم عشـــاقًا فـــي محـــرابها ، ووقفـــوا أعمـــارهم علـــى خدمتها ونشرها ، ثم نهضت الحكومـــات إداركًـــا من جانبها لقيمة هذا التراث ، فأسست لجانًا تقوم على تحقيق نصـــوص ربمـــا لا تتسع أعمار الأفراد ولا إمكاناتهم لإخراجها ، وقد كان المأمول أن تســـير صـــعدًا ورقـــيًا في خدمة هذا التراث النبيل . وهذا تاريخ طويل فيه من المآسي أكثر مما فيه الإنجاز. والله المستعان.

وإمكانـــات الـــدول ــ ولا شـــك ــ أكبر بكثير من إمكانات الأفراد ، وما يمكـــنها لا يمكـــن أن يقاس إلى ما يمكن للأفراد فعله ؛ ولهذا ينظر إلى ما تخرجه لجـــان المؤسســـات الرســـمية نظـــرة تكاد تكون خالية من أي إعذار ، وما مدخل العـــذر لمؤسســـة الأصـــل فـــيها القدرة على جمع النسخ وندب الخبراء ، وجمع المصادر الأصيلة ، والإنفاق .

ومـــن أجـــل هـــذا نظـــر الناس إلى كتاب الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبـــي) وكـــتاب الأغانـــي لأبـــي الفـــرج الأصفهاني ، والمغني لعبد الجبار المعتزلـــي ، وصـــبح الأعشـــى للقلقشـــندي ، وأمثال لها مما أخرجته دار الكتب المصـــرية زمان ازدهارها ــ نظرة إعجاب ، واتخذها الناس نماذج عليا لمن رام الاقتداء في مجال تحقيق التراث .

ولأجـــل هذا كذلك نظر الناس النظرة نفسها إلى كتاب المقتضب للمبرد ، والمحتســـب فـــي شـــواذ القـــراءات لابن جني ، وسبل الهدى والرشاد للصالحي وبصـــائر ذوي التميـــيز للفيروزابادي وغيرها مما أخرجه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ثـــم استبشـــر الـــناس خيرًا بما استحدثه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مـــن أمـــر ***مشـــروع التلمذة العلمية*** ، وهيأ له إدارة عامة لتحقيق المخطوطات ، وتـــم تعييـــن عدد من الباحثين الشبان ، وتم تدريبهم على تحقيق المخطوطات على أيـــدي بعـــض مـــن أســـاطين هـــذا الفن ممن كانت ــ وما تزال ــ تضمهم لجان المجلس العامرة ، ولاسيما لجنة إحياء التراث .

وقـــد توفر لهذا الكتاب الذي نعرض له بالنقد والتعليق من عوامل الرعاية والعـــناية مـــا كـــان حقيقًا أن يخرجه على الصورة المثلى ؛ إذ نشط المجلس له ، فأســـنده إلـــى اثنيـــن من أبنائه الباحثين الشبان ، وأسند أمر الإشراف عليهما إلى الدكـــتور أحمـــد عـــبد المجيد هريدي وهو أحد المحققين النابهين عرفته الأوساط العلمـــية بكـــتاب المقصور والممدود للقالي ، الذي حققه وأشرف عليه فيه المحقق الثبـــت المـــرحوم الدكـــتور رمضان عبد التواب ، وأسندت المتابعة إلى الدكتورة إلهـــام خلـــيل مديـــر عام إدارة تحقيق المخطوطات التي ــ ولا شك ــ كان عملها فيه التيسير الإداري والمكتبي لما فيه خير هذا الكتاب.

غـــير أن تحقـــيق هـــذا الـــنص خرج في صورة غير مرضية تبعث على التريث فيما يستقبله مشروع التلمذة العلمية هذا من أعمال .

وقـــد جـــاء التحقيق مليئًا بكثير من الأخطاء ، مخالفًا لعدد كبير من أصول فـــن تحقـــيق النصـــوص نجملها في عدد من النقاط التالية ، ثم نعود فنفصل القول فيها موردين من الأمثلة الكثير دليلاً على ما نقول .

أما ملاحظاتنا مجملة فهي كما يلي :

أولا ــ عــدم العــناية بجمع مخطوطات الكتاب ، مع إمكان الوقوف عليها في ظل إمكانـــات الدولـــة التـــي أخبرتك بها منذ قليل ، فقد اكتفى المجلس بتوفير نسختين فقط هما:

١ــ نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة رقم ٥٤٩ تفسير.

٢ــ نســـخة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية المحفوظة تحت رقم ٣٨ والتي جلبتها بعثته إلى اليمن الجنوبي.

وقد فات المجلس أن يوفر نسختين أخريين هما:

١ــ نسخة برلين المحفوظة تحت رقم ٧٠٢٦

٢ــ نسخة آصفية المحفوظة تحت رقم ١ / ٥٣٢ (١٤٤)

ولا اعـــتذار للمجلس ؛ لأنهما مذكورتان في كتاب الأدب العربي ، لكارل بروكلمان " الترجمة العربية الكاملة " القسم ٦ الجزآن ١٠ – ١١ ص ٤٠

ثانـــيًا ــ عــدم الالـــتفات إلـــى أن ما سبق نشره نشرا محققا لا يصح العودة إلى تحقـــيقه إلا إذا قـــام من المسوغات ما يستدعي إعادة تحقيقه مرة أخري. وقد سبق أن نشـــر الكـــتاب محققا في مكتبة ابن قتيبة بدولة الكويت قبل سنة ١٩٩٦ على يد الدكـــتور ضـــاحي عـــبد الباقي الذي هو أحد أعضاء لجة أحياء التراث بالمجلس الأعلـــي للشـــئون الإســـلامية ! ولـــم يعـــرف بهذه الطبعة المحققان ولا المراجع المشـــرف ، ولا قدموا إن كانوا عرفوا بها المسوغات التي من أجلها قرروا إعادة تحقيق هذا النص .

وهاتـــان ملاحظتان كافيتان للنيل من هذه الطبعة التي نشرتها لجنة السيرة والسنة في مشروع التلمذة العلمية ، وقد انضاف إلى هاتين الملاحظتين ما يلي:

أولاً ــ امتلاء الطبعة بأخطاء التحريف والتصحيف.

ثانيًا ــ كثرة أخطاء الضبط التي تضر بالمعنى وتفسده .

ثالـــثاً ــ خلـــو الطـــبعة من عرض مادة الكتاب على مصادرها الأصيلة باستثناء الكتب الأربعة التي نص المارديني مؤلف الكتاب عليها في مقدمة كتابه .

رابعًا — إغفال نسبة بعض الأشعار ، وإغفال تخريج بعضها الآخر والوقوع في أوهام في وزن الشعر وضبطه .

خامسًا — إغفال تخريج بعض الأمثال .

سادسًا — أخطاء في كتابة آيات الذكر الحكيم.

سابعًا — أخطاء في استخدام علامات الترقيم مما أفسد المعنى.

ثامنًا — تخليط في تخريج القراءات في أحيان، وإهمال في تخريجها في أحيان أخرى .

تاسعًا — أخطاء مطبعية.

عاشرًا — عدم الدقة في الفهارس ، وذكر بيانات ناقصة لمراجع التحقيق ، والخطأ في ذكر بعض تلك البيانات.

حادي عشر — تخلف القائمة التي صنعها المحققان (خالد خميس ورمضان عثمان) لكتب غريب القرآن .

وإليك تفصيل ذكر هذه الملاحظات وكنا نحب أن نذكر هذه الأخطاء مجموعة تحت هذه العنوانات التي ذكرناها ، لكننا آثرنا أن نسير في ذكرها وفق تركيب صفحات الطبعة ليسهل العودة إليها وتصحيحها ، وإن قاد ذلك إلى بعض من التكرار .

وسوف نذكر الخطأ مع النص على الصفحة والسطر التي ورد فيهما الخطأ مع تصحيحه ، وبالله الاستعانة :

* ص ٦٩ / س ١٥ (ألفته من غريب أبي بكر العزيزي) وقد رسمها محقق الجزء الأول الأستاذ خالد خميس بزاءين معجمتين وهو خطأ والصواب أنه " العزيري " بزاء معجمة ثم راء مهملة . والأدلة على ذلك كثيرة فقد روى الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢١٦ أن ابن خضر رأى نسخة من الغريب بخط مؤلفه وفي آخره كتب محمد بن عزير بالراء المهملة ، وحسبك بهذا دليلا.

* ص ٧١/ س ٩ زاد المحقق كلمة " منهم " بين معكوفين ولا أهمية لزيادتها ، وإن جاءت في غريب ابن قتيبة ، لأن النص مفهوم بدونها.

• ص ٧٤ / س ٩ جـرى المؤلـف علـى عادة التزمها في غالب أمره في طول الكـتاب ، وهـي إيـراد الكلمة المفسرة وفق ضبطها في النص القرآني الكريم ثم ذكـر تفسيرها مضبوطا الضبط نفسه ، ولم يراع المحققان تلك العادة في كثير من الأحـيان ، وهـنا موضـع لمـثال على ذلك ، فقد أورد المارديني كلمة " ريب " مفـتوحة الـباء ثـم كتب المحقق بعدها نقطتين متعامدتين وبعدهما كلمة " : شكٌ " هكذا بكاف منونة وحقها الفتح ، وأوردها غير مشددة والصواب : تشديدها .

• ص٨٢ / س ٤ يقـول المارديـنـي " الوَقُودُ : بالفتح الحطب ، وبالضم : التوقّد " وهـذه مـن عـادات المؤلـف أي أنه إذا خالف في الضبط فأورد أكثر من ضبط للكلمـة القرآنية فهذه إشارة منه إلى أنهما قراءتان ، ولم يلتفت إلى ذلك محقق هذا الجـزء ، مع أن قراءة الفتح هي قراءة الجمهور ، وقراءة الضم هي قراءة الحسن باخـتلاف عـنه ، ومجاهد وطلحة وقتادة وأبو حيوة وعيسي بن عمر الهمداني كما فـي الـبحر المحـيط ١ / ١٠٧ والمحتسب ١ / ٦٣ والكشاف ١ / ١٩٣ (وهما مـن مصـادر المحقـق) والقرطبـي ١ / ٢٣٦ ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويـه ٤ وإعـراب القـرآن الـنحاس ١ / ١٥٠ ومعجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب ١ / ٦٥

• ص ٨٨ / س ٨ يقـول المؤلف : (يظنون : يوقنون وهو من الأضداد) وعلق المحقـق فـي الحاشية رقم ٩ قائلا: " أي أن الظن هنا بمعنيين شك ويقين ، وذلك لأن فـي الظـن طـرفا مـن اليقيـن . انظر القرطين ١ / ٢٨ والجميع يعلم أن القرطيـن ليس كتابا في الأضداد ولا يستقيم تخريج للأضداد منه مع وفرة مؤلفات الأضـداد في العربية. و(ظن) التي من الأضداد في العربية في: الأضداد الأنباري ١٤ فقـرة ١ ، والأضـداد لابـن الكسـيت (تحقيق محمد عودة أبو جري) ١٠٨ وللأصـمعي (هفـنر) ٣٤ فقـرة ٤٢ وللسجسـتاني (هفنر) ٧٧ فقرة ١٠٧ ولابن الكسيت (هفنر) ٢٠٤ فقرة ٣٥٥ والصاغاني ٢٣٨ فقرة ٥٦٩

• ص ٩٢ / س ٩ أورد المؤلف بيتا لعدي به الرقاع هو :

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا   فيه المشيب لزرتُ أم القاسم

والبيت من بحر الكامل ، ولم يقل المحققان في أي موضع من الكتاب وزن أي بيت مر بهما ، ثم لم يخرج المحقق البيت من ديوان عدي بن الرقاع العاملي وهو مطبوع في بغداد بتحقيق المرحوم الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن حفظه الله سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م. ثم إنه لم يترجم لابن الرقاع مع أن ترجمته مستفيضة في الكتب تجدها في الشعر والشعراء لابن قتيبة (دار المعارف) ٢ / ٦٠٠

• ص ٩٤ / ١٠ يقول المؤلف : " والطور : جبل معروف " وقد علق المحقق في الحاشية ٧ قائلا : " النص عن : غريب السجستاني ١٣٦ ، غريب ابن قتيبة ٥٢ ، القرطين ١ / ٤٤ . وانظر تفسير الزمخشري ١ / ٢٨٦ " والجميع يعلم أن هذه الكتب كلها ليست كتب بلدان . ثم إنني لا أدري لماذا لم يعطف بين هذه الكتب بواو العطف مكتفيا بعلامة الفاصلة ، وما أراه إلا أثرا من آثار العجمة والتأثر بالأسلوب الغربي الذي يعطف بالفاصلة ولا يذكر حرف العطف إلا مع آخر معطوف عليه . والطور جبل لا كما قرر المارديني مكتفيا بكلمة معروف وهو ما اسميه الشرح السكوتي وهو غير مضاف : علم على جبال كثيرة في مصر ومَدْيَن وطبرية كما في معجم البلدان ٤ / ٧ ثم زاد ياقوت الحموي نفسه في كتابه (المشترك وضعا والمفترق صقعا) طبعة جوتنجن ١٨٤٦ بعناية فستنفلد / مصورة المثنى ببغداد ص ٢٩٧ فذكر سبعا من مواضعه مفردا ومضافا . ونحن نرى أن الطور الذي في آية سورة البقرة ٢ / ٦٣ هو الطور المصري بدليل سياق الآيات التي تتكلم عن جعل الله مصر وطنا لبني إسرائيل بعدما طلبوا من الله سبحانه أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها إلى آخر ما سردته الآيات الكريمة .

• ص ١٠٣ / س ١ يقول المؤلف : " شروا : باعوا ، وهو من الأضداد " واكتفى المحقق في الحاشية ١ بتخريج النص من مصادره الأربعة مبدلا بالغريبين كتاب القرطين مع رفع أن الأمر كان يستلزم بجوار ما ذكر أن يعود إلى كتب الأضداد التي مر ذكرها . وشروا بهذا المعنى ؛ أي بمعنى الشراء

والبيع في الأضداد لابن الأنباري ٧٢ فقرة ٣٦ والأصمعي (هفنر) ٥٩ فقرة ١٠٢ والسجستاني (هفنر) ١٠٦ فقرة ١٤٨ وابن السكيت (هفنر) ١٨٥ فقرة ٣٠٩ (وأبو جري) ١٠٠ والصاغاني (هفنر) ٢٣٤ فقرة ٥٢٠

* ص ١٠٤ / س ٢ ضبط المحقق الكلمة القرآنية " يودّ " هكذا بالتشديد والفتح وهي في النص القرآني مضمومة مشددة ، وقد قلنا إن من عادة المارديني إيراد الكلمات المفسرة وفق ضبطها في كلام الله سبحانه.

* ص ١٠٤ / س ١١ ضبط المحقق قول المارديني " ونُنْسِهَا : نُنْسِكْهَا " هكذا بضم أولى النونين ثم تسكين النون الثانية وكسر السين وتسكين الكاف، وقد جعلها المحقق بهذا الضبط من النسك ؛ أي أنه جعل الكاف من أصول الكلمة ، ولا معنى للآية الكريمة ساعتئذ ، وإنما الكاف هنا للخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وحقها الفتح والمعنى : أن الله سبحانه ينسيها إياك يا محمد فلا تذكرها . وانظر تفسير القرطبي / ٦٨ .

* ص ١٠٨ / حاشية ٤ علق المحقق على تفسير المارديني كلمة " أَضْطَرُّه " بالفعل : أُلْزُه إلى النار لزّ المضطر قائلا : لز الشيء يلزه لزا وألزه : ألزمه إياه، وشده وألصقه ". ولم يثبت مرجعا لكلامه هذا ، وقد علم كل من خبر هذا الأمر أن التحقيق إثبات القضية بدليل ، وكان حقه أن يعود إلى أي من معاجم الأفعال وهي كثيرة في [illegible]ة العربية . ولو كان رجع إلى بعض هذه المعاجم لخفف من الخلط الذي جاء حاشيته حيث خلط بين " لز الشيء بالشيء لزا : ألصقه وشده " وهذا هو المعنى الذي قصد إليه المارديني ، أما المعنى الآخر الذي أورده أولا المحقق وهو " ألزمه إياه " فهو من لز فلان بفلان : لزمه . وهذا في الأفعال للسرقسطي ٢ / ٤٤٣؛ ٤٤٤ والأفعال لابن القوطية (جويدي) ٢٥٨.

وهذا الذي فعله المحقق هنا حرص عليه في كل شروحه ، لما رآه غامضا ، فلم يورد مرجعا واحد لشروحه هذه في أية مرة !

* ص ١١٠ / س ٣ يقـول الماردينـي " الفراء : سَفِهَتْ نفسُه : نُقِلَ لضمير مَنْ ، ونُصِـبت النفس تشبيها بالتفسير " ومع أنه ترجم للفراء إلا أنه لم يخرج هذا الكلام وهـو في معاني القرآن له ١ / ٧٩ والكلام بهذا الشكل يحتاج إلى تفسير وتوضيح وهـو ما سكت عنه المحقق ، والمسألة هي : أن النجاة لا يجوّزون مجيء التمييز (= التفسـير فـي كـلام الماردينـي) من المعرفة ، ولما كانت نفسه مفسرة لسفه أشـبهت النكرة فجاز نصبها في الآية الكريمة . والتفسير : مصطلح كوفي يطابق التميـيز عـند غـيرهم . ومـع أن الكشاف من مصادر المحقق الدائمة ، لأنه من مصـادر الكـتاب الأساسـية؛ إلا أنه لم يلتفت إلى هذه الأمور وهي فيه ١ / ١٨٩ وفـي الـدر الصـون للسـمين الحلبي ٢ / ١٢١ أشعار كثيرة ترشح لرأي الفراء للنابغة الذبياني وللحارث بن ظالم المُرّيّ .

أضـف إلـى هذا أن تركيب النص هكذا غير مفهوم وصوابه أن يزيد فيه مـا بيـن معكوفيـن كمـا يلـي : " الفراء : [سَفِهَ نَفْسَه ، معناه] : سفهت نفسه ، [فـ]نُقِل [الفعل عن النفس] لضمير مَنْ ، ونُصبت النفس تشبيها بالتفسير " .

وهـذه الـزيادة لازمـة ليُفهم الكلام وهي من غريب السجستاني (جمران) ١٩٩٥م ص ٢٥٩ وهي الطبعة المحققة التي لم يرها المحققان .

* ١١٠ / س ٥ يقـول الماردينـي " الأخفـش : سـفه في نفسه ، سقط الحرف فنصبت " أي أن نفسه منصوب على نزع الخافض أو حذف حرف الجر ".

وقـد اكتفى المحقق بالترجمة للأخفش ، ولم يقل في هده الترجمة أن سعيد ابـن مسـعدة هـو الأخفـش عند الإطلاق ، أي عندما لا يوصف بالأصغر ، أو الأكـبر ، لأن الأخافشة كثيرون . وسكت المحقق عن تخريج كلام الأخفش ، وهو فـي معانـي القرآن له (هدى قراعة) ١ / ١٥٧ ولو كان فعل لظهر له أن ما نسبه الماردينـي للأخفـش وهـم عريض؛ إذ الأخفش يحاول أن يتأول للذين يرون في (نفسـه) منصوبا على التشبيه بالتفسير أو التمييز . يقول الأخفش: " يجوز في هذا القـول : سَفِهْتَ زيدا ، وهو يشبه " غَبِنَ رأيه " و " خَسِر نفسه " إلا أن هذا كثير؛ ولهـذا معـنى ليس لذاك ؛ تقول : " غُبِنَ في رأيه " و " خَسِرَ في أهله " و " خَسِر

فـــي بيعه "؛ وقد جاء لهذا نظير قال : " ضُرِبَ عبدُ الله الظهرَ والبطنَ "؛ ومعناه : " على الظهر والبطن ".

ثـم قـال الأخفش في لغة واضحة حاسمة في المعاني ١/ ١٥٧ " وأحسن ذلـك أن تقول إن: ﴿ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ جرت مَجْرَى " سَفُهَ " إذ كان الفعل غير متعد ، وإنما عداه إلى نفسه ورأيه ، وأشباه ذا مما هو في المعنى ".

أرأيـت كـيف يفعـل عرض المادة على مصادرها الأصيلة ، وهذه كلها مصادر للماردينى وإن لم ينص عليها في مقدمته ، كان واجبا العودة إليها .

* ص ١١١ / س ١٤ ضـبط المحقق كلمة " شقاقٌ " هكذا بالضم وهي في القرآن الكـريم ﴿ شـقاقٍ ﴾ [سورة البقرة ٢ / ١٣٧] بالكسر والتنوين. وقلنا إن من عادة المؤلف إيراد الكلمة المراد تفسيرها وفق ضبطها في النص المقدس .

* ص ١١٢ / س ١٠ أورد الماردينـي بيـت شعر لم يذكر المحقق وزنه ، وهذا شأنه في كل أبيات الكتاب كما سبق أن ذكرنا، والبيت من البحر الطويل.

يقول الماردينى : " قال الشاعر :

هُمُ وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظَم

وقـد علـق المحقـق في الحاشية ٦ مخرجا البيت من غريب ابن قتيبة ، وحقـه أن يـبدأ بديوان الشاعر ، وهو زهير بن أبي سلمى ، ثم ذِكِر رواية أخرى لـم يكـن ثمة داعٍ لذكرها ، لأنها لا شاهد فيها ، وكان يكفي الإحالة إليها فقط ، ثم ذكـر أن كـتاب القرطين عزاه إلى صاحبه من دون ذكر للصفحة هناك، وهو فيه ١ / ٦٣ .

* ص ١١٤ / حاشـية ٣ علـق المحقـق علـى بيـت المخبل السعدي وهو من الطويل، وسكت المحقق عن ذلك وهو من عاداته اللازمة ، يقول الشاعر :

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سِبَّ الزبرقان المزعفرا

وقـال إنه في تهذيب اللغة ٣ / ٣٨٨ و ١٢/ ٣١٣ من دون ذكر للمواد اللغوية مع أنـه بعدهـا مباشـرة خـرجه مـن تاج العروس ذاكرا المواد فقط من دون ذ كر للصـفحات ، ونحن نحرص على ذكر الأمرين ليصحح بعضهما بعضا؛ فالمادة قد

تصـــحف أو تحـــرف ، والرقم قد يقع فيه خطأ ، والاكتفاء بأحدهما مظنة للخطأ ، مـــع إدراك أن كثـــيرا مـــن مصـــادرنا قد تعددت له الطبعات والبيت منسوب في الموضوعين " حج " و " سب " وهو ما لم يقله أيضا المحقق.

ثـــم ســـكت فـــي الصفحة نفسها عن تخريج بيت لأعشى بأهله من ديوانه وهو:

....   وراكب جاء من تثليث معتمرُ

وهـــو عجـــز بيـــت مـــن البســـيط في كتاب (الصبح المنير في شعر أبي بصير والأعشـــين الآخريـــن) (جايـــر ١٩٢٧) ق ٤ / ٨ ص ٢٦٦ ويضاف إلى ما عنده مـــن مصـــادر مـــا يلـــي : الأصـــمعيات ق ٢٤ /٣ ص ٨٨ والخزانة (هارون) ١/ ١٩٢ ومعجـــم الـــبلدان (تثليـــث) ٢ / ١٦ وديـــوان العجاج (عزة حسن) ٩٩ وتهذيب اللغة (عمر) ٢ / ٣٨٣ .

* ص ١١٥ / س ١ أورد المحقـــق بيتـــي العجـــاج وهمـــا من الرجز ، ولم يقل الرجل شيئا كعادته :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر   مغزى بعيدا من بعيد وضَبَرْ

هكـــذا فـــي سطر واحد ، وقال في الحاشية ٦ : " البيت له " أي للعجاج " في ... " وهمـــا بيتان لا بيت واحد ، والصواب كتابتهما رأسيا أي أحدهما فوق الآخر ، أو ترقيمهما برقمين (١) و (٢) إذا ما حرصنا على كتابتهما في سطر واحد.

ويضـــاف إلـــى مصـــادر تخـــريجه مـــا يلي : تفسير القرطبي ٢ / ١٨١ ومعانـــي القرآن للزجاج ١ / ٢٣٤ و ١ / ٢٦٦ ويصحح رقم صفحة تهذيب اللغة (عمر) ٢ / ٣٨٤ بدلا من ٣ / ٢٩ حيث لا شيء في هذا الموضع المذكور .

* ص ١١٥ / س ١٥ ضـــبط المحقق كلمة " كل " من قول المارديني " دابة : كلِّ مـــا يـــدب " وصوابها بالضم لو لم يراع ضبط الآية الكريمة وإلا فهو الكسر جريا علـــى عادة المؤلف في طريقته ، إذ إن " دابة " في الآية الكريمة ﴿ من كل دابة ﴾ [سورة البقرة ٢ / ١٦٤] مكسورة كما ترى.

• ص ١١٩ / حاشـــية ٣ لـــم يذكر من مصادر عجز بيت عمرو بن كلثوم ديوانه (أيمن ميدان) والعجز هو :

....   هجان اللون لم تقرأ جنينا

وهـــو مـــن بحـــر الوافر وهو في ديوانه ق ٣٥ / ١٤ ص ٣١٣ ويمكن إضافة ما يلـــي إلـــى مظـــان تخـــريجه : شرح القصائد السبع الطوال ق ٥ / ١٠ ص ٣٨٠ ومجـــاز القـــرآن ١ / ١٧ ومعانـــي القرآن للأخفش ١ / ١٧٤ والطبري ١ / ٣٢ وبصـــائر ذو التميـــيز ٤ / ٢٦٣ وتفسير القرطبي ٣ / ١١٤ وجمهرة اللغة (قرأ) ١/ ٢٢٩ وتـــاج العـــروس (قرأ) ٩ / ٥٩ والأضداد لابن الأنباري ٣٠ والصحاح (هجن) ٦ / ٢٢١٦ .

• ص ١٢٨ / س ٤ قال المارديني: " قال العجاج:

عن اللغا ورفث التكلمّ

وعلـــق علـــيه المحقـــق قائلا في الحاشية (١) إنه عجز بيت ، وهو بيت كامل من الرجـــز، ثـــم زعم أنه في تهذيب اللغة ١٢ / ٤١٦ وليس ثمة شيء هناك وإنما هو فـــي حاشـــية محقق التهذيب وليس في التهذيب ! ثم لم يخرجه من ديوانه وهو فيه (د.عـــزة حســـن) ق ٢٤ / ٥٨ ص ٢٨٣ وفي مادة (ليس) في اللسان ١ / ٤٦٢ ؛ ٤٦٧ وهـــي محـــرفة عنده من دون ذكر لرقم الصفحات . وهو بالإضافة إلى ذلك فـــي القرطبـــي ٣ / ٩٩ ومجاز القرآن ١ / ٧٠ وتاج العروس (رفث) ١ / ٦٢٥ والاقتضاب شرح أدب الكتاب ٤٦١ والمفردات للراغب (لغا) ٦٨٢

• ص ١٢٩ / س ٥ ضبط قول الشاعر (الرجز) :

له قروء كقروء الحائض

بالكســـر ، وصـــوابه التنويـــن بالضـــم . والعجيـــب أنه أورد من قبل مع أخ له مضـــبوطا ضـــبطا صـــحيحا فـــي ص ٩٥ ثم أحال في الحاشية ٥ ص ٢٩ قائلا وســـبق تخـــريجه فـــي صفحة ٢٩ وهو خطأ . وقال في الحاشية ٨ ص ٩٥ أول موطن ورد فيه البيت مع أخ له : البيت ، مع أنهما بيتان في هذا الموضع .

* ص ١٣٦ / س ٧ قـال الماردينـي " يتسنّه : ... متغير ، أبدلوا نون يتسنن ياء كتظنيـت ، وتقضي البازي ، فصار يتسنى " ! هكذا أوردها المحقق ولم يلتفت إلى أن:

... تقضي البازي ...

قطعـة مـن بيـت شعر من الرجز ، مشهور في هذا الكلام على هذه المسألة وهو في ديوان العجاج (د. عزة حسن) ق ١ / ٧٥ ص ٨٣ وتمامه :

... ... إذا البازي كسر.

وهـو فـي الزاهر للأزهري ١٣٩ والنكت والعيون للماوردي ١ / ٩٤ وقد أوقعه في هذا متابعته للمصادر التي اعتمدها وغالبها غير محقق .

* ص ١٣٨ / س ٤ قـال الماردينـي : " ربوة ، مثلثة الراء " واكتفى المحقق في حاشـيته رقم (٣) قائلا : أي بفتح الراء وكسرها وضمها ، من دون عزو ذلك إلى المصادر ، والكلمة في الدرر المبثثة في الغرر المثلثة للفيروزابادي ٧٢.

* ص ١٣٩ / س ١٥ يقـول الماردينـي " السيماء : مقصود وممدود " والصواب أن تكـون : السيما من غير مد ؛ لأنه بدأ به وبه نطقت الآية الكريمة ﴿ سيماهم ﴾ [سـورة الـبقرة ٢ / ٢٧٣] ولـم يذكر مصدرا من مصادر المقصور والممدود مع أن المشـرف علـى الكـتاب كان حقق واحدا من أهمها وهو المقصور والممدود للقالـي ، والكلمـة فـيه ص ١٩٥ واستشـهد بالآية المذكورة على قصرها وهي ممدودة فيه أيضا ص ٤٥٧ والمقصور والممدود لابن السكيت ٦٤ س ٥ ؛ ٦ .

* ص ١٤٣ / س ١٥ كتـب المحقـق كلمـة: " يؤول " والأولى أن تكتب الهمزة علـى نـبرة هكذا : يئول ، وِفق قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة التي تراعي قاعدتـه عـدم تكـرار المتماثليـن ولو خطًّا . وقد فعل ذلك كثيرا مثل " يئوب " ص ١٤٦ / س ٢ وغـير ذلك كثير (ويمكن حمل هذا الضبط على مراعاته أصل القاعدة).

* ص ١٤٥ / س ٢ يقـول الماردينـي في القنطار إنه " ثمانية آلاف ، بلسان أهل إفريقـية ". ولم يعلق على ذلك . وحقه أن يقول إنها رومية اقترضها الآرامية كما

يقــول فــرنكل ١٣ وهـــي معـــربة في المعرب ٢٦٩ وشفاء الغليل ١٥٨ والإتقان ١ / ١٤٠ والمهـذب فيما وقع في القرآن من المعرب ٨٠ وتفسير الألفاظ الداخلية ٥٩ وآرثــر جفــري ٢٤٣ وفقــه اللغـــة للثعالبي (السقا) ٣٠٦ و (د. خالد فهمي) ٢ / ٥٣١ والمتوكلي للسيوطي عن الثعالبي ١٠١ .

* ص ١٤٧ / س ٦ : " كفَّلهــا : ضـــمَّها وحضـــنها " هكذا ضبطها المحقق بفتح الفــاء وتشــديدها، والصـــواب تخفــيفها ، والتخفيف قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمـــرو وابـــن عامــر ، خلافا لحمزة وعاصم والكسائي . وإنما نقول ذلك للمعنى الــذي فسره بها المارديني ولو أراد المشددة لعدى الفعل إلى مفعولين ؛ أي سيكون المعــنى : جعــل الله زكــريا كافلا وحاضنا لمريم ، أو بمعنى: ضم الله مريم إلى زكريا ، وليس شيء من هذا ورد في تفسير الرجل.

* ص ١٥٣ / س ٤ " بكــة : بطن مكة لأنهم يتباكَون فيها ؛ أي: يزدحمون " ولم يخــرج ذلــك الكــلام ، وهو في اللسان " بكك " ١٠ / ٤٢٠ ومعجم البلدان (بكة) ١ / ٤٧٥ .

* ص ١٥٦ / س ١٣ ، ١٤ يقــول الماردينـــي: " عَرْضُــهَا : ســـعتها ، لا ضد الطول. يقال : بلاد عريضة ، وفي الأرض العريضة مذهب ".

ولـــم يعلق المحقق عليه بشيء ، مع أن الكلام من أول " وفي الأرض " أشبه شيء بالشـــعر بناء وصياغة ووزنا ، فهو يستقيم على وزن الوافر ، وإن كانت المصادر تعد هذا الكلام من أقوال العرب ، وفي النفس من كلامهم شيء .

* ص ١٥٩ / س ١٣ ضــبط المحقــق قــول الماردينى مفسرا أُخراكم (آخرُكم) بضـــم الـــراء وهو خطأ ، والصواب أن تكون الضمة على الكاف والراء مكسورة والمعـــنى : جماعتكم المتأخرة التي هي مقابل الساقة في الجيش . ولا تنس القاعدة التـــي جـــرت عليها الماردينى مما أخبرتك به من شأن إيراد الضبط وفق ما جاء فـــي الآيـــات الكـــريمة . ومـــثل ذلـــك يقال في : (يغلَّ) ص ١٦٠ / س ٦ حيث ضـــبطها المحقـــق بالضـــم وحقها الفتح كما جاءت في الآية الكريمة ﴿ أن يغل ﴾

[سورة آل عمران ٤ / ١٦١] وعليه تعدل الضمة التي على لام يغل بالبناء للمجهول لتكون فتحة في ص ١٦١ / س ١

• ص ١٦١ / س ٦ يقول المارديني: " النفاق ، لفظ إسلامي " ولم يعلق المحقق بشيء مع أن الألفاظ الإسلامية ، مصطلح جار على الكلمات التي أحدثها الإسلام، ولم تكن قبلُ بهذا المعنى . والكلمة بهذا النص على إسلاميتها في الزينة في الكلمات الإسلامية للرازي ٥٧/١ ، ١٤٠/١ والمخصص (٢) ٩٢/٨ وفقه اللغة وسر العربية (السقا) ٣٠٤ و (خالد فهمي) ٢ / ٥٢٤

• ص ١٦٢ / س ٥ ، ٦ يقول المارديني: " الملَوَانُ : الليل والنهار ". ولم يخرج المحقق ذلك الكلام وهو في : جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي ٨٤

• ص ١٦٢ / س ٨ ضبط المحقق كلمتي يَميزُ ويُميِّزُ ، بالضم ، وهما بالفتح في قراءتيهما ، والأولى اتباع منهج الرجل الذي أخبرتك به من قبل ، ومثل ذلك حدث في : قربان ص ١٦٣ / س٦ .

• ص ١٦٥ / س ٧ يقول المارديني: " حُوبا وحَوبا وحابا : إثما " ، ولم يفطن المحقق إلى أنها قراءات . فالضم قراءة الجمهور ، والفتح قراءة الحسن وابن سيرين ، وبالألف قراءة أبي بن كعب ، وهذا التخريج من مختصر ابن خالويه ٣٤ والزمخشري ١ / ٤٦٩ وهو من مصادر الكتاب التي يكثر المحقق من العودة إليها ! وانظر معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب ٢ / ٨ وفي حاشيته مصادر أخرى كثيرة ، بارك الله فيه وفي عمله.

• ص ١٦٩ / س ٢ يقول المارديني: " أفضى: انتهى إليه بغير حاجز ، كناية عن الجماع ". ولم يعلق على ذلك بشيء . والكناية في : الكناية والتعريض للثعالبي (أسامة البحيري) ٢٩

• ص ١٧٢ / س٤ يقول المارديني: " ذي القربى : القرابة " ويقتضي الكلام زيادة [صاحب] بين معكوفين قبل القرابة .

• ص ١٧٣ / س ٥ يقــول الماردينــي: " لامســتم ولمستم : كناية عن الجماع "، ولــم يخرج هذه الكناية ، وهي في مجازات القرآن للشريف الرضي ١٢٧ والكناية والتعريض للثعالبي ٧٩ .

• ص ١٧٥ / س ٩ أورد المحقــق قولــه تعالى: ﴿ أينما تكونوا يُدْرِكُكُمُ الموت ﴾ هكــذا بضــم الكافين ، وهو خطأ لا يصح أن يقع في كتاب الله تعالى ، والصواب تســكين الكـــاف الأولـــى ، وفي الرسم العثماني بكاف أولى عارية ، وثانية مشددة مضـــمومة ، وهـــي عادة الرسم العثماني إذا ما جاء صوتان متشابهان الأول منهما ساكن ، يعريه الرسم من علامة الخفة مكتفيا بتشديد الثاني لمراعاة الإدغام .

• فـــي ص ١٧٧ / س ٦ ورد اســم الله ســبحانه " المقيت " بمعنى المقتدر . ولم يخــرج مـــن كتــب أسماء الله الحسنى، وهو بهذا المعنى في المقصد الأسنى في شــرح أســماء الله الحســنى لأبــي حامد الغزالي ١٠٢ وتفسير أسماء الله تعالى للزجاج ص ٤٨ فقرة ٤٠ .

• ص ١٨٠ / س ٦ " الأمــرد : لا شــعر بوجهــه ". ولم يعلق عليها أو يخرجها مـــن كتــب خلق الإنسان ، وأحب أن تزاد كلمة [من] قبل " لا شعر بوجهه "، وفي غايـــة الإحســـان في خلق الإنسان للسيوطي ١٤١ أنه من " طرّ شاربه ، ولم تنبت لحيته ".

• ص ١٨١ / س ١٢ " الهــوى : هوى النفس، وبالمد ما بين السماء والأرض ". وكـــان المحقـــق أن يخــرجها مـــن كتب المقصور والممدود ، وهي في المقصود والممــدود للقالي ٣١٩ والمقصور والممدود للفراء (ماجد الذهبي) ١٦ والمنقوص والممدود (لعبد العزيز الميمني) ١٦ فقرة ب ١.

• وفـــي الصـــفحة نفســها س ٩ استشـــهد المؤلف بقطعة من حديث أم زرع وقد خـــرجه المحقـــق (وهـــو محـــق) في كتاب صحيح البخاري ، وإن كنت أحب أن يخـــرج من كتب أفردت له ككتاب القاضي عياض : بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع مـــن الفوائـــد . وقـــد حققـــه ونشره صلاح الأدلبي بمدينة سبتة بالمغرب ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

* ص ١٨٦ / س ٧ كتــب المحقــق قول المؤلف: " وذكاء الفهم : تمامه وسرعتُه [و] قــبولِه "، هكــذا بضم التاء من " سرعة " وبزيادة واو بين معكوفين ، وليست من رموز نسختيه ، وكسر اللام من قبوله .

ولا يمكن فهم النص إلا بإحدى طريقين :

أولاهمــا ــ أن تكــون " سرعة " صوابها " سرعته " بإضافتها إلى هاء الغياب ، ولا يكون لكسرة لام "قبوله " معنى حينئذ ويكون حقها الضم.

وثانــيهما ــ بقــاء " ســرعة " كمــا هي من غير إضافتها إلى هاء الغيبة على أن تضاف إلى " قبوله " المكسورة اللام ، وتكون الواو التي زيدت لا معنى لها .

* وفي ص ١٨٧ / س ٣ خطأ في ضبط " مائل " يصحح إلى التنوين بالكسر.

* وفــي ص ١٨٨ / س ٤ خطــأ في ضبط " خائنة وخائن " يصححان كذلك إلى التنوين بالكسر .

* وهكــذا فــي الصفحة نفسها س ١١ يصحح ضبط " السلام والسلامة " من الضم إلى الكسر .

* وفــي ص ١٨٩ / س ١ لم يخرج المحقق اسم الله تعالى السلام من كتب أسمائه الحســنى . والســـلام فــي المقصد الأسني ٦٧ وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٣٠ فقرة ٦ .

* ص ١٩١ / س ١٣ " وقــيل : الرشــاء (أي فــي معنى السحت) من : سحته : أهلكــه ". وهــو خطــأ لأن الرشــا التي هي جمع رشوة من السحت ، مقصورة وليســت ممــدودة كمــا أثبت المحقق ، ولو كان راجع المواد على أصولها لأعفته مــن هــذه الأخطاء ، وهذا الذي أقوله في المقصور والممدود للقالي (د. هريدي) ٢٢١.

* ص ١٩٤ / س ٢ ضــبط المحقــق قــول المؤلف: " البحيرة : الناقة إذا نَتَجَتْ خمســة أبطن " بالبناء للمعلوم . والصواب ضبط الفعل بالبناء للمجهول " نُتِجَتْ ". والعجيب أنه ضبطها بالصواب في ص ١٩٥ / س ٨ .

* ص ٢٠٤ / س ١٢ لــم يخرج كلمة البين التي هي الوصال والفراق ، وهي من الأضــداد ، ضــبط فــي الصــفحة نفســها س ١٤ " شاقُهما " تفسيرا لفالق الحب والــنوى بوضــع مــدة على الألف ولا حاجة إليها والصواب حذفها والخطأ نفسه تكرر في ص ٢٠٥ / س ٢.

* فــي ص ٢٠٦ / س ١٠ ، ١١ خــرج المحقــق قراءة قوله تعالى ﴿ وخرقوا ﴾ [ســورة الأنعــام ٦ / ١٠٠] " فخلط فيها تخليطا وأسند للمصادر ما ليس فيها فقال فــي الحاشــية (٧) : وهــي قــراءة ابن عمر ، وشدد ابن عمر الراء وخففها ابن عباس انظر المحتسب ١ / ٢٢٤ " وليس شيء من ذلك صحيحا.

فقــراءة الخــاء المعجمة والتخفيف هي قراءة الجمهور ، وليست لابن عمر وحده كما قال ، ولا عبرة بكلمة أيضا هذه لأنها لم تفسر شيئا.

أمــا ابــن عباس فتشديده وقراءته بالحاء المهملة ، وليس كما ذكر المحقق ، وهي نفســها هكــذا قــراءة ابــن عمر وأبي رجاء وأبي الجوزاء . وفي رواية أن ابن عــباس قــرأها بالحــاء المهملة أيضا مخففة ، فلا دخل لابن عباس وابن عمر في قــراءة الخــاء المعجمــة مطلقــا . وصواب ابن عمر هذه التي جاءت في تعليق المحقق هي أبوه : عمر .

وانظــر في تخريج هذه القراءات البحر المحيط ٤ / ١٩٤ والزمخشري ١ / ٥٢٠ وهــو مــن مصــادره ! وفي المحتسب خطأ ١/ ٢٢٤ صوبه الكريم الدكتور عبد اللطــيف الخطيــب في معجم القراءات ٢ / ٥٠٦ وانظر مصادر أخرى كثيرة في حواشيه.

* ص ٢٠٧ / س ١ ، ٢ وحاشــية ٥ خرج المحقق قراءة قوله تعالى ﴿ دارست﴾ و ﴿ درســت ﴾ [ســورة الأنعام ٦/١٠٥] عازيا الأولى بالألف إلى ابن كثير وأبي عمــرو ، وهي كذلك لابن عباس ومجاهد وابن محيصن واليزيدي وعلي وعكرمة بالخطــاب لمحمد صلى الله عليه وسلم، أي بفتح التاء . وبضم التاء مع بقاء الألف بعد الدال بجعل ضمير التكلم لله سبحانه .

أمـــا قراءة " دَرَسَتْ " بفتح الثلاثة الأحرف وتسكين التاء فهي قراءة ابن عامر كما ذكـــر المحقـــق وهـــي قراءة سهل ، ويعقوب من غير رواية الضرير وعبد الله بن الزبـــير وأبـــي بـــن كعب والحسن وابن مسعود . وانظر معجم القراءات للخطيب ٢ / ٥١١؛ ٥١٢ بمصادره الكثيرة .

• ص ٢٠٧ / س ١٠ خـــرج المحقـــق قوله تعالى ﴿ قِبَلاً ﴾ في آية سورة الأنعام ٦ / ١١١ ونســـبها لابـــن عامر أي بكسر القاف وفتح الباء . وهي له ولنافع ولابن عامـــر ولأبـــي جعفـــر وعيسى وبها قرأ ابن عامر آية سورة الكهف ١٨/ ٥٥ كما في السبعة لابن مجاهد ٢٦٦ ومعجم القراءات للخطيب ٢ / ٥٢٦ .

• ص ٢٠٩ / س ٧ يقـــول المؤلـــف " الحِجْــرُ : الفـــرس الأنثى ، وديار ثمود ، وحجـــر الكعـــبة ، والعقـــل " . ولـــم يخـــرج هذا الكلام وكان حقه أن يعود لكتب المشترك اللفظي ، وهي في ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري ١٠٢ .

• أخطـــا المحقق في ضبط ميم " ثمره " ص ٢١٠ / س ١ بالضم ، وحق الضمة أن تكـــون علـــى الـــراء ، كما أخطأ في ضبط " مّا حُمل " في س ٤ بوضع تشديد على الميم من " ما " والصواب فتحة فقط .

• وكذلـــك ضبط في ص ١١١ / س ٤ " إملاقّ " بتشديد والصواب تنوين بالكسر. وضبط في س ٧ " ودىّ " بتشديد الدال مع الياء والصواب حذفهما

• وفـــي ص ١١١ / س ٨ يقول " الآنك : الرصاص والأسرب " ولم يخرجها من كـــتاب المعـــادن وهي في المعرب ٣٣ ؛ ٣٤ وأدي شير ١٢ والجماهر في معرفة الجواهر للبيروني ٢٥٨

• فـــي ص ٢١٤ / س ٥ ومـــا بعدهـــا فـــرق المؤلـــف بين الوسوسة ، والإلهام والإيجاس والأمل . ولم يرجع المحقق إلى الفروق ٨٢ .

• ص ٢١٥ / س ٢ كتـــب المحقق ما يلي: " طفق: يفعل ، وجعل ، وأقبل سواء " واضـــعا نقطتين متعامدتين بعد طفق ، وحقهما أن يوضعا بعد " ... وأقبل ، وقبل: ســـواء " هكـــذا : " طفق يفعل ، وجعل ، وأقبل : سواء " ولو أن المحقق تمثل ما في مصادره لصح لديه وضع علامات الترقيم.

• ص ٢١٥ / س ٧ قـــال المؤلف : " الرِّيش والرِّياش: ما ظهر من اللباس " ومن عـــادة المؤلف إذا أورد الكلمة بطريقتين فهذه إشارة منه إلى أنهما غالبا قراءتان ، ولـــم ينتـــبه إلى هذا المحقق ، فلم يخرجهما ، وقراءة " الريش " من غير ألف هي قـــراءة الجماعـــة . وقـــراءة " الرياش " بالألف مروية عن عاصم بخلاف كما في المحتسب ١/ ٢٤٦ ، وعن علي في الشواذ لابن خالويه ٥٨ .

• ص ٢١٦ / س ٥ ، ٦ أورد المؤلف ما يلي : " وقالت العامرية [من الرجز]:

واليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهُ فَمَا بَـــدَا منْهُ فلا أُحِلُّـــهُ "

وعلـــق المحـــق قـــائلا في الحاشية رقم ٥ : " البيت منسوب إلى العامرية ... ". والصـــواب أنهمـــا بيتان من الرجز ، ولم يقل ، وكان حقه أن يرقمهما أو يكتبهما رأســـيا كمـــا أنـــه لم يخرجهما من مصدرهما الأصيل ، وهما للعامرية في أشعار النســـاء للمرزبانـــي ص ٧٠ مع القصة ، كما أن المحقق ضبط الهاء في آخر كل بيت بالضم ، والصواب أن تضبط الهاء في الموضعين بالسكون .

• ص ٢١٧ / س ٦ ، ١٢ ضـــبط المحقـــق " سَـــمُ الْخِيَاط : ثقبُ الإبرة / وغلٌ: عـــداوة " ، بضـــم الميم والباء من سم وثقب ، وبالتنوين بالرفع في غل وعداوة ، وحقهمـــا أن تضـــبطا بكســـر الميم والباء في الموضع الأول ، والتنوين بالجر في الموضـــعين الآخريـــن، مـــتابعة لما ورد في النص القرآني الكريم ، وفقا لمنهج المؤلـــف في بناء كتابه . ومثل ذلك يفعل في كلمة " الأعراف " ص ٢١٨ / س ٢ حيـــث ضـــبطها بالضـــم والأصـــل أن تضبط بالكسر مراعاة لما ورد في النص الكـــريم . كمـــا أخطـــأ في ضبط " كلُّ مُرْتَفِعٌ " بتنوين العين بالضم وحقها التنوين بالجر ، لأن مرتفع مجرور بالإضافة !

• ص ٢٢٢ / - ١ زاد المحقـــق في النص: " وقرئ " قبل قوله تعالى: ﴿ أرجئه﴾ ولا حاجـــة لهـــذه الزيادة ، لأن من عادة المؤلف إذا أورد لفظا يخالف ما جاء في القرآن الكريم فهي إشارة إلى أنها قراءة .

• ص ٢٢٤ / ٤ ؛ ١٠ أورد المؤلـــف كلامـــا عـــن أصل " مهما " هو: " ماما ". فاســـتثقلوا الألفيـــن ، ولم يراجع كتب حروف المعاني ولا الإبدال ، وانظر: الجنى

الدانـــي ٦١١ وجمـــال القـــراء (الزبـــيدي) ٣١٩/١ وما بعدها. كما أورد المؤلف كلامـــا عـــن " القُمّل " وأنه هو الحمنان؛ أي : كبار القردان ، ولم يراجع من أجل ذلك كتب الحيوان .

• ص ٢٢٥ / س ٥ ضـــبط المحقـــق كلمـــة (الـــيمّ) بالتشديد والضم ، والصواب بالتشديد والكسر موافقة لما ورد في النص الكريم .

• ص ٢٢٦ / حاشـــية ٣ أورد تخـــريجا لقراءة : ﴿ دكاء ﴾ [الأعراف ٧ / ١٤٣] ولم يورد المؤلف لها ذكرا في متن الكتاب !

• ٢٣٤ / س ١٠ ضـــبط المحقـــق قـــول الماردينـــي الأصيل : " جمعه أُصلٌ ثم أُصَـــالٌ " . والصـــواب أن تضـــم الصاد من أُصُل ، وأن تكتب أُاصال : آصال . وانظر الصحاح (أصل) ٥/ ١٦٢٣

• ص ٢٣٧ / ٢ ضـــبط المحقق "بصرفَه كيف يشاء " بفتح الفاء من الفعل وحقها الضم عطفا على افعل : يملك المرفوع .

• ص ٢٣٧ / ١٠ يقـــول المؤلـــف: " ويقـــال في العذاب: أمطر . وفي الرحمة: مطـــر ". ولم يعلق المحقق وكان يجب أن يقول : إن في هذا الكلام استغراقا يكذبه مـــا روي من تسوية بعض القبائل بين أمطر ، ومطر ، وجعلهما بمعنى . والأولى هـــنا أن يقـــال مـــا قاله الزمخشري في الكشاف ٢ / ٢٢٧ " وقد كثر الإمطار في العذاب " .

• ص٢٤١ / ٢ يقـــول المؤلـــف : " الوَلاية النصرة . وبالكسر : الإمارة " . وهما بهـــذه الطـــريقة قراءتان وفق منهج المؤلف في إيراد القراءات ، والفتح هنا قراءة ابـــن كثـــير ، وأبـــي عمرو ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، والكسائي . وقراءة الكســـر لحمـــزة . انظر السبعة لابن مجاهد ٣٠٩ وكان الأمر يستلزم من المحقق تخـــريج هاتيـــن القراءتيـــن ، والقراءتان مشار إليهما في الكشاف في للزمخشري ٢ / ٢٣٩ وهو من مصادر المحقق وقد رجع إليه في حاشية هذه الآية .

• ص ٢٤٣ / س ٧ ضـــبط المحقـــق: " وكُـــلَّ ما أدخل في غيره ، فوليجة فيه "، بتشديد اللام وفتحها ، وحقها الضم مع التشديد ، للابتداء .

• ص ٢٤٤ / ٣ ضــبط المحقــق " ورِجْس نَجْسٌ على الإتباع ". هكذا بفتح نون نجس ، والصواب كسرها متابعة لراء رِجْس على الإتباع .

• ص ٢٤٣ / س -١ يقــول المؤلــف: " ويقال : أعطاه عن يد أي : مبتدئا غير مُكَاف ". والصواب : " مكافئ " بهمزة مكسورة منونة .

• ص ٢٤٥ / س ٧ ضــبط المحقــق قــول المؤلف: " أربعة حرم : رجب ، وذو القَعــدة ،.. " بفــتح القــاف وهي مكسورة، لقعودهم عن القتال ، كما في الأزمنة لقطرب . ولم يعلل المحقق لاختياره فتح القاف وسكون العين .

• ص ٢٥ / س ٢ ، ٣ ضــبط المحقــق ما يلي : " يُحَادُّ : يحاربُ ويُعادِي وقيل كيجانــب "، والصــواب وفقــا لمــنهج المؤلــف أن تسكَّن الدال والباء في يحادد ويحارب ، وتحذف الياء في يعادي ، وإلا فلماذا جزم الفعل يجانب ؟!

• ص ٢٥١ / س ١ يقــول المؤلف: " جُهْدٌ : طاقةٌ . وجَهْدٌ : مشقة "، وهما بهذه الطــريقة قراءتان وفق ما أخبرتك به من منهج المؤلف ، وقراءة الضم هي قراءة الجمهــور وبفتح الجيم قراءة الأعرج وعطاء ومجاهد في مختصر ابن خالويه ٥٩ وإليهما إشارة في الزمخشري ٢ / ٢٩٤.

• ص ٢٥١ / س ٦ يقــول المؤلــف: " الــيَزِيدِيُّ: جمــع خالفة، وهو الذي يقعد بعــدك "، وقــد تــرجم المحقــق لليزيدي ، ولم يخرج النص من كتابه، وهو في غريــب القــرآن وتفســيره للــيزيدي ص ٧٤ بالنص (والكتاب حققه الدكتور عبد الرزاق حسين ، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٨٧م) .

• ص ٢٥٢ / س ١ ضــبط المحقــق قــول المؤلف " خُسَاسُ الناس وأدنياؤهم " بضم الخاء والصواب بكسرها .

• ص ٢٥٢ / س ٤ يقــول المؤلــف: " المُعَــذِّرُونَ : المُقَصِّــرُونَ . يُعْــذِرُونَ : يوهمــون أن لهم عذرا ولا عذر ". ويرجى زيادة [لهم] بعد قوله ولا عذر ، اهتداء بمــا فــي الكشــاف للزمخشري ٢ / ٣٠٠ ويصوب ضبط الذال في الفعل بالتشديد مــع الكسر ، لأن معنى أعذر ضد معنى الفعل المشدد كما في الأفعال للسرقسطي (عذر) ١ / ٣٢٣ .

• وفـــي الحاشية ٣ في من الصفحة نفسها يضاف كتاب مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٥٩ ، حيث نقل عن الطبري .

• ص ٢٥٥ / س ٤ يضاف وزن البيت وهو من الوافر.

• ص ٢٦٣ / س ١ يقــول المؤلــف " تَثْنَوْنِـــي صَدورَهم "، وقد ضبطها المحقق بفــتح الــراء مـــن صـــدورهم ، والصـــواب أن تكون مضمومة ، وهي كذلك في مصـــدره الـــذي رجـــع إلـــيه ؛ ولأن تثنوني : تَفْعَوْعِل وهو لازم . وقيل إن الآية نزلــت في الأخنس بن شريق كما في القرطبي ٩ / ٥ وإنما ذكرنا صاحبها ، لأن الماrديني جهله قائلا: " قال في بعض المشركين " .

• وفـــي الحاشية ١ من الصفحة نفسها قال المحقق: إن هذه القراءة مروية بخلاف عـــن ابـــن عـــباس في المحتسب ١ / ٣١٨ وما بعدها . والذي في المحتسب لابن جني ١ / ٣١٩ بخلاف عن ابن عباس هي قراءة " تثنونّ " بتشديد النون .

• ص ٢٦٥ / س ٤ ضـــبط المحقـــق قـــول المؤلف " بادِئَ الرأي : أولُه . وبلا همـــز: ظاهـــره " بضـــم الـــلام والراء من أوله وظاهره، والصواب بالفتح متابعة لضبط الآية الكريمة ، ولما ذكره المحقق نفسه في ضبطه لكلمة بادئ .

• ص ٢٦٥ / س – ١ ضـــبط المحقـــق قـــول المؤلف " تَبْتَئِسْ : تحزن ويلحقُك بؤس " بضم القاف والصواب بتسكينها .

• ص ٢٦٦ / س ٥ يقـــول المؤلـــف : " والتَّـــنُّورُ قيل : عين ماء معروف ". ولم يخـــرجها المحقـــق مع أنها ليست معروفة لنا وهي كما في معجم البلدان " تنور " ٢ / ٥٠ (طبعة صادر ١٩٩٥ م): جبل قرب المصيصة يجري سيحان تحته !

• ص ٢٦٦ / س ٩ يقـــول المؤلـــف : " مُجْـــراها ومُرْساها [مجراها بضم الميم] إجـــراؤها ..." وهـــذه الـــزيادة التي زادها المحقق بين معكوفين لا لزوم لها ، لأن الـــنص مفهـــوم بدونهـــا ، وإن كان ولابد فالحاشية موضعه ، أو يكفي فيه الضبط فقط .

• ص ٢٦٧/ س١ يقـــول المؤلـــف: " جُوديٌّ : جبل بالجزيرة ". ولم يعلق المحقق بشـــيء ، مع أنه يحتاج إلى تخريج وهو كما في معجم البلدان (جودي) ١٧٩/٢

جـبل بجزيـرة ابـن عمـر بالموصل . ويضاف بجانب اسم النابغة أن بيته من الطويل .

* ص٢٦٩ / س-١ يقـول المؤلـف : " سـيء بهم : فُعل بهم [من] السوء ". ولا أدري لمـاذا زاد المحقـق حرف الجر [من] بين معكوفين ؟ ولماذا لا يكون المعنى فُعل بهم السوء وتكون السوء نائبا عن الفاعل ؟

* ص ٢٧٠ / س ١٠ يقـول المؤلـف: " الكسـائي والفـراء : لا يكـون إلا مع رعـدة ". ولم يخرج المحقق النص من الفراء مع أنه في معاني القرآن له ٣٨٧/٢ ومـا هنا عن الرجلين في تفسير القرطبي ٧٤/٩ وعلى الرغم من أن كتاب معاني القـرآن للفـراء من مصادر المحقق فإن المسوغ في عدم ذكره هنا ، هو أن الفراء فسـر هـذه الآيـة فـي موضع آخر هو آية سورة الصافات ٧٠/٣٧ ﴿ فهم على آثـارهم يهـرعون ﴾ ولذلـك لم يخرجها المحقق من الكتاب، وتفسير يهرعون فيه كما رأيت !

* ص٢٧١/ س٧ " منضـود : بعضـه فوق بعض ، كما ينضد الثياب واللبن ". لم يضبط باء اللبن وكان الأولى كسرها.

* ص٢٧٦ / ٢ يقول المؤلف : " نرتع : ننعم : ومنه : القيد .

والرَّتَعَة : مثل للخصب والجدب " .

هكـذا وضـع المحقـق نقطـة بعد كلمة القيد ، وهكذا أورد الكلام مع ما فيه من تناقض : مثل للخصب والجدب ! وصواب العبارة :

" نـرتع : ننعم . ومنه : القيد والرتعة (بحذف هذه النقطة التي بعد القيد) : مثلٌ للخصـب [وعدم] الجدب ". بزيادة كلمة عدم قبل الجدب ، ليستقيم المعنى ، والمثل فـي المستقصـي للزمخشري (الهند) ٣٤١ رقم ١٤٦٣ وأمثال العرب للمفضل ٤١ وعنه في مجمع الأمثال ٤٨٨/٢ رقم ٢٨٦٦ وفصل المقال ٥٤ .

* ص ٢٧٧/- ١ يقـول المؤلف : " الأزهري : وراودته : كناية عما تريد النساء من الرجال ".

ولم يخرجه المحقق وهو في تهذيب اللغة للأزهري (رود) ١٦٣/١٤

* ص٢٧٩/ س٦ يقـول المؤلف : " والعرب تسمي المملوك فتى ، ولو شيخنا " !
والصواب : " ولو شيخًا " بحذف النون التي بين الخاء والألف .

* ص٢٨١/ س-٢ يقـول المؤلـف : " البِّضْـع: ما بين الثلاث ". وكان لابد أن يـزيد المحقـق بعـد كلمـة الثلاث بين معكوفين [إلى التسع] ؛ للزومها للمعنى، ولمناسبة (بين) التي في النص .

* ص٢٨٣/ س٣ يقـول المؤلـف : " الأزهـري : تدأبـون دأبا . وهو الملازمة للشـيء المعـتاد ". ولـم يخرج المحقق شيئًا من كلام الأزهري وهو وفي تهذيب اللغة (دأب) ٢٠٢/١٤

* ص٢٨٥/ س٥ جـاء في الكتاب : " السِّقاية : المكيال . قتادة : مَشْرَبَةُ الملك ". ولـم يخـرج المحقق كلام التابعي الكريم قتادة وهو في النكت والعيون للماوردي ٣٢٩/٢ بتحريف في كلمة الملك !

* ص٢٨٧/ س ٢-٤ جـاء فـي الكـتاب : " كبيرهم : أعظمهم ورئيسهم ؛ وهو شـمعون . وأكـبرهم سنًا : روبيل . قاله مجاهد وروى الكلبي : كبيرهم عقلاً ؛ وهو : يهوذا ". (علامات الترقيم من عندي).

ولـم يخـرج المحقق شيئاً من هذا ، مكتفيًا بالترجمة لمجاهد والكلبي فقط. والكلام حـتى " وهـو شـمعون " لمجـاهد في النكت والعيون ٣٣٤/٢ وأما التفسير بأنه روبـيل ، فلـيس مـن كلام مجاهد وإنما من كلام قتادة ، رضي الله عن الجميع ، وروبيل هذا : ابن خالة يوسف عليه السلام .

وما رواه الكلبي : مروي عن مجاهد أيضًا في النكت والعيون للماوردي ٣٣٥/٢

* ص٢٨٨/ س١١ جـاء فـي الكـتاب : " تجسسوا ، [بالجيم] وتحسسوا [بالحاء المهملة] : تَخَبَّرُوا ". (وعلامات الترقيم والزيادة التي بين معكوفين من عندي).

لـم يفطـن المحقـق إلـى أن إيراد الكلمتين بهذه الطريقة عادة للمؤلف يقصد بها الإشارة غالبًا إلى أنهما تمثلان قراءتين . وهما كذلك :

فقـراءة الحـاء المهملـة هي للنَّخَعي رضي الله عنه ذكرها ابن خالويه في كتابه مختصـر فـي شـواذ القـرآن ص ٦٩ والزمخشري في الكشاف (طبعة الريان)

٥٠٠/٢ مـــن غـــير نسبة فيه ، وهو من مصادره التي يرجع إليها دائمًا، وقد ذكره في الحاشية التي كتبها لهذا النص برقم ٧ في الصفحة المذكورة.

• ص٢٩٠/ س-١ ضـــبط المحقق كلمة (بصيرة) في قوله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي أدعـــو إلـــى الله على بصيرةٍ ﴾ [سورة يوسف ١٠٨/١٢] بالضم وصواب ضبطها بالتنوين جرًّا ؛ جريًا على عادة المؤلف .

• ص٢٩١/-١ جـــاء في الكتاب : " ابن الأعرابي : الصِّنْوُ : المِثْل ". ولم يخرج المحقـــق شـــيئًا مما نسب إلى ابن الأعرابي وهو وفي تفسير القرطبي (دار الكتب المصرية) ٢٨٢/٩ من غير عزو .

• ص٢٩٣/ س٣ جـــاء في الكتاب : " كباسط كفيه : مَثَلٌ لطالب الممتنع .." . ولم يلتفـــت المحقـــق إلـــى تعبـــير الماوردي " مثل " فيخرجه ، وهو في أمثال القرآن والنكت والعيون للماوردي ٣٦٣/٢

• وفـــي الصـــفحة نفسها في السطر السابع والثامن يقول المؤلف: " ظلالهم : جمع ظـــل . وفـــي التفسير : يسجد الكافر لغير الله ، وظله [يسجد] لله على كره منه ". وهـــذه العـــبارة تحـــتاج إلى تعليق لم يقم المحقق بشيء منه ، وهو إما أن يكون المعـــنى أن ظـــل الكافـــر يســـجد لله على كره من الكافر، أو أن ظل الكافر يسجد [لغـــير] الله علـــى كـــره مـــن الظل ؛ ويكون هذا إعذارًا من الظل لله ؛ لأنه غير مطمئـــن بكفره ، وهذا هو الظاهر الذي كان يستلزِم زيادة [لغير] قبل لفظ الجلالة. وهـــو الموجـــود في عدد من المصادر المعتبرة مثل : تفسير القرطبي ٣٠٠/٩ وما بعدها ، والنكت والعيون للماوردي ٣٦٥/٢

• ص٢٩٥/ س١ جـــاء في الكتاب : " وقيل (أي في تفسير طوبى) : اسم الجنة ، بالهـــندية " . ولـــم يخرج المحقق التفسير من كتب المعرب على كثرتها ، وهو في المعـــرب للجواليقـــي ٢٠٢ وتـــردد الســـيوطي في القول بحبشيتها أو هنديتها في كتابه: المتوكل ٤٤ ؛ ١٠٤

• ص٢٩٥ / س٢ جـــاء فـــي الكـــتاب : " وقـــيل (في تفسير طوبى أيضًا) شجرة فـــيها. متاب توبتي ". هكذا ولا معنى لهذا الكلام بهذا التداخل الغريب ، والصواب

أن كلمـــة مـــتاب تحريف لآخر الآية الكريمة ﴿ مآب ﴾ وكان حقه أن يضع بعدها كذلك نقطتين متعامدتين .

* ٩٥/ س ٥ جاء بيت شعر (من الطويل) هو :

أقول لهم بالشِّعْب إذ يَيْسِرُنني   ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

والبيت هكذا من غير واو في ييسرونني مكسور!

ثـم علــق المحقق على البيت من غير ذكر لوزنه كعادته ، مخرجًا إياه من غريب ابــن قتيــبة والقرطبي ، من غير ذكر للمواضع . ولم ينسب الخيل وهو لجد سحيم هــذا : بشــر بن عمرو الرياحي في : أسماء خيل العرب ، للغندجاني ١١٨ فرس رقــم ٢٩٩ ؛ والحلــبة في أسماء الخيل المشهورة ٤٤ والقاموس المحيط (زهدم) ١٢٧/٤ . وقــال " المحقق في آخر حاشيته التي خرج فيها البيت رقم ٤ " وزهدم: فــرس ســـحيم " ! وما قال أحد إن الفرس لسحيم ، وإنما هو كما قدمنا لجده : بشر بن عمرو الرياحي .

* ص٢٩٧/ س ٧ كتــب المحقق النص التالي : " وقيل أومأوا إليهم أن اسكتوا ". وحــق الهمـــزة أن تكون على نبرة هكذا " أومئوا " لو أعملنا قاعدة المجمع اللغوي بالقاهــرة ، واعتبرنا قاعدة توالي الأمثال الخطية ، ولو لم نعتبرها ، وكتبناها على الأصل كُتبت هكذا : " أومؤوا "!

* ص٢٩٧/ س٩ جــاء فـــي الكـــتاب " مـــن ورائه : أمامه . وهو من الأضداد " وســكت المحقق ولم يعقب بشيء ولم يخرج الكلمة من تراث الأضداد . وهي في: الأضـــداد لابـــن الأنـــباري ٦٨ فقرة ٣٤ والأضداد لابن السكيت ١٧٥ فقرة ٢٩٦ والأصمعي ٢٠ فقرة ٢٤ والسجستاني ٨٢ فقرة ١١١

* ص٣٠٠/ س ٥ ؛ ٦ جــاء فـــي الكـــتاب : " ويقـــال : أقنع رأسه : نصبه ؛ لا يلتفـــت يميـــنًا ولا شـــمالاً ، وجعـــل طرفه موازيًا لما بين يديه . وكذا الإقناع في الصـــلاة ". وهـــذه الجملـــة الأخيرة كانت تطلب من المحقق العودة إلى شيء من معاجم الفقه ، والكلمة في المغني لابن باطيش ١/ ١١٨

* ص٣٠٦ / س١١ جاء في المتن : " حيث يمر أهل الموسم " هكذا بسكون الميم والصواب كسرها .

* ص٣٠٩/ س٤ جاء في المتن : " وفي حديث أم زرع : وجدني في [أهل] غنيمة بشِقٍّ ". ولم يعلق المحقق بترجمة لأم زرع وأمرها مستفيض في الكتب، كما أنه زاد كلمة [أهل] ويصح عدم وجودها ؛ تبعًا لسنن العرب في كلامهم، واكتفى المحقق بتخريج الحديث من فتح الباري، مع أن ثمة كتبًا تفرغت لشرح هذا الحديث من مثل كتاب القاضي عياض .

* ص٣١٠/ س-٢ زاد المحقق : وقرئ . قبل قوله تعالى : ﴿ تتفيؤ ﴾ [سورة النحل ٤٨/١٦] وليست من لوازم المؤلف . كما أنه رسم الهمزة على واو ، وحقها أن ترسم على ألف ، لأنه لا عبرة بحركة آخر الكلمة في رسمها.

* ص٣١٦/ س ٤ جاء في الكتاب : " أَنْعُمٌ : جمع نَعْمٍ ، لا نِعْمَةٍ ؛ لأن فِعْلَةً لا تُجمع على أَفْعُل ".

وقد ترك المحقق هذا الكلام هكذا من دون تعليق ، مع أنه في أمس الحاجة إليه ؛ إذ إن (أَفْعُل) قد يكون مفردها (فِعْلة) بكسر الفاء وسكون العين ، وهو ما نفاه ابن التركماني ، مثل : الأَشُدّ جمعا لشِدَّة . أو على ترك الاعتداد بالتاء كَدِرْع وأَدْرُع وانظر القرطبي ١٩٤/١٠ والزمخشري ١٦٣ ، وراجع تفصيلا لهذه في : جموع التكسير في القرآن الكريم للدكتور مفرح سعفان ١٦٣

* ص٣١٧/ س٥ جاء في الكتاب : " جاس يجوس : عاث وفتك . وكذا هاس وداس ".

لم يلتفت المحقق إلى أنه ربما تكون " هاس " هي " حاس " بالحاء المهملة ، وهي قراءة شاذة لأبي السَّمَّال في المحتسب لابن جني ١٥/٢ ولطلحة في الكشاف للزمخشري ٦٤٩/٢ والكلمتان هاس أو حاس مع داس مترادفات لكلمة " جاس " كما في : ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ٦٨

* ص ٣٢١/ س-١ جاء في الكتاب " [وقرئ] : القسطاس : الميزان ؛ رومية . وتكسر أيضًا ".

خـــرج المحقـــق القراءتيـــن ولم يخرج تعريبها وهي في المعرب ٢٥١ والمتوكلي ٩٧ . ولـــم تكـــن ثمة فائدة من زيادة : وقرئ بين معكوفين لأنها ليست من لوازم المؤلف في بنائه كتابه .

* ص ٣٣٢/ س٧ جـــاء فـــي الكـــتاب : " وقيل مَقْنَأة (أي في تفسير فجوة) أي : موضـــع لا تصيبه الشمس " ، وهذه كلمة غريبة كان على المحقق أن يخرجها من المعاجم وهي في لسان العرب (قنأ) ١٣٥/١

* ص ٣٣٧/ س ٣ جاء في المتن : " قال الشاعر [الكامل] :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكـــة مسنتون عجاف

لـــم يثبـــت المحقـــق وزن البيـــت وهـــذه عادة سيئة التزمها في طول الكتاب هو وصـــاحبه محقـــق الجـــزء الثاني ، كما أنه كتب العلى بياء وحقها أن تكتب بألف لواويـــة أصلها . ولم يذكر في تخريجه البيت من غريب السجستاني رقم الصفحة! وهـــو فـــي طبعـــته التي اعتمدها ص ٢١٤ ، ومع أنه عرف أن البيت لعبد الله بن الزِّبَعْـــرَي ، ســـكت عـــن تخـــريجه مـــن ديوانه وهو مخالف لأصل التخريج من المصـــادر الأصـــيلة، وهـــو فـــي شعر ابن الزبعرى (قسم ما ينسب له ولغيره) ق ٤/٤٩ ص ٥٣ ومصادر أخرى كثيرة هناك .

* ص ٣٤٤/ س٦ جـــاء فـــي الكتاب : " فردوس : بستان ، رومية ". ولم يخرج ذلـــك المحقق ، وهي كذلك في المعرب ٢٤٠ وشفاء الغليل ١٤٨ والإتقان ١٤١/١ والمتوكلي ٩٥ وآرثر جفري ٢٢٣ وفرنكل ١٤٩

* ص ٣٤٥/ س٢٢ جـــاء فـــي المتـــن : [وقرئ] " عتيا : يبسا . وكل مبالغ من كبر أو كفر أو فساد فقد عتا عتيًا وعتوًا ، وعسا عُسيًا وعسوًا ".

وقـــد خـــرج المحقـــق قـــراءة من قرأ بالتاء ولم يلتفت إلى أن السين قراءة أخرى لمجـــاهد وابن مسعود في مختصر شواذ القرآن ٨٦ كما أن المحقق اكتفى بتخريج قـــراءة التاء بضم العين وكسرها فقط ، ولم يلتفت إلى أن هناك قراءة أخرى بفتح العين مع التاء معزوة لابن مسعود في المختصر ٨٦ والمحتسب ٣٩/٢

• ص ٣٤٨/ س١١ جـاء فـي الكـتاب : " الـنَّدى : المجلس ". في تفسير قوله تعـالى: ﴿ وأحسن نديًّا ﴾ [سورة مريم ٧٣/١٩] وقد ضبطها المحقق بتشديد النون وفـتحها مـع فتح الدال ، مما يستلزم معه قصر ألف الندى وهو خطأ ؛ لأن الكلمة مكسورة الدال بآخرها ياء مشددة.

• ص ٣٤٨/ س١٢ ورد مـا يلـي : " ودار الـندوة التي كان المشركون يجلسون فـيها للمشـاورة ". ولـم يعقب على شيء من ذلك المحقق ، وهي كذلك في معجم البلدان (دار الندوة) ٤٢٣/٢

• ص ٣٤٩/ س٢ جـاء الكلام عن قراءة قوله تعالى : ﴿ هم أحسن أثاثًا ورئْيًا ﴾ [سـورة مـريم ٧٤/١٩] ، رئـيا بهمـزة : شـارة وهيئة . وقرئ بدونها ". وفي الحاشـية (٢) تـرك المحقـق هذه القراءة وانشغل بتخريج قراءة (ريًّا) مشددة الـياء بـدون الهمزة ، وهي ليست مراد المؤلف ، وإنما مراده قراءة (رِيًا) بياء مخففة منونة بالنصب ، وهي قراءة طلحة كما في المحتسب ٤٣/٢

• ص ٣٥١/ س٥ جـاء فـي كـتابة المحقـق مـا يلي : " الثَّرى : تراب ندٌ ". والصـواب نـديٌّ ، بدال مكسورة بعدها ياء مشددة . ولو أرادها فَعِلَ لوجب عليه ضـبطها بتنوين مجرور من غير تشديد للدال ، وإنما أوقعه في هذا الخطأ متابعته لنسخة غير محققة ولا معتمدة من غريب السجستاني.

• ص ٣٥١/ س١١ جـاء فـي الكـتاب : " طُـوى : قرئ بالضم والكسر " ، لم يخـرج المحقق القراءتين وكانتا تستلزمان التفصيل التالي : فقراءة الضم من غير تنويـن لابـن كثـير ونـافع وأبي عمرو . وقراءة الضم مصروفة ؛ أي بالتنوين لعاصـم وابـن عامـر وحمـزة والكسائي كما في السبعة ٤١٧ أما قراءة الكسر فلعكرمة كما في تفسير القرطبي ١٧٥/١١

وطـوى : اسـم واد اختلف في تحديد موقعه تحقيقًا وضبطًا. انظر: معجم البلدان (طوى) ٤٥/٤ وهو الأمر الذي لم يشر إليه المحقق.

• ص ٣٥٢/ س٣؛٢ يقـول المؤلـف : " أُخْفـيها : أسـترها ، وأظهرها ؛ من : أخفيـت . وهـو من الأضداد " ، ولم يعلق المحقق على ذلك بشيء وهي كذلك من

الأضـــداد فـــي ابـــن الأنباري ٧٦ رقم ٣٩ والأصمعي ٢١ فقرة ٢٨ والسجستاني ٢١٥ فقرة ١٦٩ وابن السكيت ١٧٧ فقرة ٣٠٠ والصفاني ٢٢٨ فقرة ٤٥٣

* وفـــي الصـــفحة نفســـها في السطر الأخير من المتن كتب المحقق : عصا بألف مقصورة هكذا : عصى . وحقها كما كتبتها .

* ويمكـــن إضافة أبي الدرداء إلى أصحاب القراءة التي خرجها في الحاشية ٢ من الصـــفحة نفســـها وهي قراءة فتح الهمزة من ﴿ أَخفيها ﴾ [سورة طه ١٥/٢٠] كما جاء في مختصر شواذ القرآن ٩٠

* ص٣٥٣ / س٢ جـــاء في الكتاب : " جناحك جيبك ، وما بين أسفل العضد إلى الإبـــط " . وهـــذا كلام كان يحتاج إلى العودة إلى توثيقه من تراث خلق الإنسان ، وهو كذلك في غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي ١٥٣

* ص ٣٥٤ / س٢ ضـــبط المحقـــق الـــنص التالي كما يلي : " سُؤْلَك : أُمنيَّتك ، وطَلِبَـــتك ". بفـــتح الطاء وكسر اللام ، وليس هو الوجه الوحيد ، وإنما يجوز فيها والأولى أن تكسر الطاء وتسكن اللام .

* ص ١/٣٥٥ جـــاء فـــي النص : " فَرَط يَفْرُط : تقدم أو تعجل . وأفرط يُفْرِط : اشـــتط . وفرّط : قصّر . معناه كله التقدم ". وهذه الجملة الأخيرة كانت تحتاج من المحقـــق إلـــى فضـــل بيان سكت عنه تمامًا : وهو أنه لعله يقصد هنا أن مشتقات الجـــذر (ف ر ط) كلها دائرة حول معنى واحد تأثرًا بفكرة الاشتقاق الأكبر التي نظّـــر لهـــا ابـــن جنـــي ، وأدار عليها ابن فارس القزويني معجمه مقاييس اللغة . وانظر المقاييس (فرط) ٤٩٠/٤

* ص ١٠/٣٥٦ كتـــب المحقق النص التالي كما يلي : " فَاقْضِ : امْضِ " . بألف وصـــل فـــي : امض . والصواب أن تكتب بهمزة قطع . وهذه الهمزة مهمة جدًا ؛ لأنها تجعل الفعل رباعيًا بمعنى : اصنع ، وأنجز .

وهـــذا الخطأ الذي وقع فيه المحقق تابع فيه ناشر غريب السجستاني ١٠٦ ولـــو تدبـــر المحقق النص هناك وهو مصدره لاكتشف الخطأ ولصححه ، إذ جاء

فـــي السجســـتاني بعدهـــا : ما أنت مُمْضٍ ، ولو كان الفعل ثلاثيًا (امض) بألف وصل ، ما جاء اسم الفاعل على مُمْضٍ أبدًا !

* ص ٣٦٠ / س٢ جـــاء فـــي الكـــتاب في تفسير قوله تعالى : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ [سورة طه ٢٠/١١١]

مـــا نصه : " وعَنَت : استأسرتْ ، وذَلَّتْ ". وكانت صيغة استفعل هذه تحتاج إلى تعلـــيق من المحقق ؛ لأن الغالب على معانيها هو طلب الفعل ، وذلك هو المتبادر إلـــى الذهـــن ، فلـــو كـــان لقبل سكوت المحقق عن التعليق عليها ؛ ولكنها جاءت بمعـــنى : استسلمت أي صارت أسيرة ، والصيرورة من معاني استفعل . وانظر : تفسير القرطبي ١١/٢٤٨

* ص ٣٦٢ / س ٧ كتـــب المحقـــق ما يلي : " رَكَضْتُ الفرسَ : حَرَّكْتَ رجليك علـــيه فعدا "، ضابطًا تاء ركضت بالتشديد والضم وصوابها الضم فقط ؛ ويبدو أن السر وراء هذا التشديد هو أنه نطقها مدغمة في الضاد التي قبلها .

* س ٣٦٦ / حاشـــية ٤ ورد فـــي كلام ابن التركماني أن (رُخَاءً) الريح اللينة ، ومـــن عمـــل التحقـــيق مراجعة الكلام على مصادره الأصلية وكان عليه مراجعة كتاب : الريح لابن خالويه ٧٠ ؛ ٧٢

* ص ٣٦٧ / س٢ ضـــبط المحقـــق كلمة : حلٍّ في النص التالي من غير تشديد ، وصوابها التشديد : " وحَرَام وحِرْمٌ : كحلال وحل "!

* كمـــا كتـــب فـــي الصفحة نفسها في السطر السابع ما يلي : " النَّسلان : مُقارَبَةُ الخَطْـــو بإســـراع كالذئـــب . وكـــذا : يَغْسِل غَسَلانا ". والصواب يعْسِل عسلانا ؛ بالعيـــن المهملـــة لا بالغيـــن المعجمة كما رسمها المحقق ! والعجيب أن مصادره التي أثبتها في حاشيته رقم ٥ أوردت النص سليمًا .

* ص ٣٦٨ / س٥ جـــاء في الكتاب : " وقيل : الحصب بالحبشية : الحطب " ولم يخرجها المحقق من مصادر المعرب ؛ وهي المتوكلي للسيوطي ١٥٦ بالزنجية.

* ص ٣٦٨ / س٦ كتب المحقق اسم العزيزي صاحب الغريب المسمى : **نزهة القلوب** — وهو من مصادر بهجة الأريب التي نص عليها في مقدمته — **بزاءين معجمتين** ، والصواب بزاء معجمة بعدها ياء مثناة تحتية ثم راء مهملة .

* ص ٣٧٥ / س٣ يقول النص : " والْبَعِيرُ يُعَقَّل إحدى يديه للنحر **فيقوم على ثلاث** ". وأرى أن صواب العبارة والبعير مُعَقَّل ... ؛ أو تُعقل ، بالتأنيث .

* ص ٣٧٦ / س ١٠ جاء في الكتاب : " مُعَاجِزِين : مُسَابِقين . **ومُعَجِّزِين** : مانعين . وقيل : مثبطين ". وهذه الطريقة من المؤلف تؤذن **بأن الكلمتين** قراءتان، ولم يلتفت كثيرًا إلى ذلك المحقق الفاضل ، فأهمل تخريجهما . **والأولى** بالألف بعد العين هي قراءة عاصم ، ونافع ، وابن عامر ، وحمزة ، **والكسائي** . والثانية بتشديد من غير ألف هي لابن كثير وأبي عمرو انظر : **السبعة ، لابن مجاهد** ٤٣٩

* ص ٣٧٨ / س ١٠٤٩ جاء في الكتاب في تفسير قوله تعالى **﴿ تنبت بالدهن ﴾** [سورة المؤمنون ٢٣ / ٢٠] " وقيل : الباء زائدة ؛ أي تنبت الدهنَ ؛ **أي ما يكون** دهنا ". وقد سبق من المؤلف الإشارة صراحة إلى قراءتي الضم **والفتح للتاء** ، فخرجهما المحقق . ولم يلتفت المحقق إلى أن هذه العبارة التي **نقلتها هنا الآن** فيها إشارة إلى قراءة أخرى شاذة ، من غير باء في الدهن ، لزر بن حبيش **وابن** مسعود وطلحة ، كما في المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٩٩ **والدر** المصون للسمين الحلبي (طبعة الدكتور الخراط) ٣٢٩/٨

* ص ٣٧٩ / س١ جاء في الكتاب : " صِبْغ وصِباغ : كدِبغ ودِباغ ، **ولبس** ولباس : ما يصطبغ به ؛ أي يغمر فيه الخبز ". ولم يفطن **المحقق إلى أن هذه** الطريقة من المؤلف إشعار بأنهما قراءتان ، والأولى من غير **ألف بكسر الصاد** هي قراءة الجمهور . وبكسر الصاد مع وجود الألف لعامر **بن عبد الله في** مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٩٩ كما أن الزمخشري أشار **إليها في كشافه** وهو من مصادر المحقق .

• ص ٣٨٤ / س ١ جـاء في الكتاب : " والكالح : الذي قلصت شفته عن أسنانه، كمـا تقلـص رءوس الغـنم إذا شيطت بالنار ". ولم يخرج المحقق هذا الكلام من تـراث خلـق الإنسـان وهو في: غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي ١٢٥ ويسمى : قالصًا كذلك .

• كمـا كتـب المحقـق همـزة كلمة : اخسأوا ، على ألف هكذا ، والصواب إن راعيـنا توالـي الأمثال الخطية أن تكتب على نبرة . وقد رعاها المحقق في كلمة رءوس فـي السطر الذي علقنا عليه في الفقرة السابقة من الصفحة نفسها . وإن لم يـراع توالـي الأمـثال الخطـية وكتـبها علـى الأصل : كتبها هكذا على واو : اخسؤوا. فطريقته لا وجه لها.

• ص ٣٨٩ / ٨ جـاء في كلام ابن التركماني تعليقًا على قوله تعالى : ﴿ دريّ ﴾ [سـورة الـنور ٢٤ / ٣٥] : " ولا يجـوز ضـم الدال والهمز ؛ إذ لا (فُعِّيل) في الكـلام ". وهـذا كـلام غـير صحيح وكان يحتاج من المحقق إلى تعليق ، فبهذه القـراءة التـي يمـنعها ابن التركماني قرأ حمزة وعاصم من رواية أبي بكر بضم الـدال مهمـوزة ، كمـا جاء في السبعة لابن مجاهد ٤٥٦ . ولا عبرة بعدم تجويز ابن التركماني ، فالقراءة سنة متبعة ، والقرآن حاكم على العربية .

• ص ٣٩١ / س ٢ يقـول المؤلـف : " خِلالـه ، وخَلَله : الذي يخرج منه سنا ضـوء ". ولـم يفطن المحقق إلى أن هذه الطريقة في إيراد الكلمتين إشعار بأنهما قـراءتان وهمـا كذلك ، فالأولى هي قراءة الجمهور ، وبفتح الخاء مع وجود ألف بيـن اللامين هي قراءة ابن مسعود وابن عباس والضحاك كما في المختصر لابن خالويـه ١٠٤ ، وقـراءة خَلَله من غير ألف بين اللامين غير منسوبة في الكشاف للزمخشـري ٢٤٤/٣ وهـو مـن مصادر الكتاب التي يداوم المحقق على الرجوع إليها .

• وقـد وقع محقق الجزء الثاني السيد / رمضان عبد المطلب عثمان في كثير جدًا مـن الأخطاء التي وقع فيها زميله محقق الجزء الأول السيد / خالد محمد خميس؛ وذلـك لحداثـة سنه هو أيضًا ، وقلة خبرته وتجاربه ، وقد أشرف على هذا الجزء

كذلــك وراجعــه الدكــتور أحمــد عــبد المجيد هريدي عضو لجنة إحياء التراث بــالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وهو نفسه مراجع الجزء الأول ، والمشرف عليه .

وقــد امــتلأ الجــزء الثاني بكثير من الأخطاء التي وقع فيها محقق الجزء الأول ، وقــد توزعت هذه الأخطاء وتنوعت إلى أخطاء في قراءة المخطوطات ، وفــي الــتخريج ، وفــي زيــادة مــا ليس بلازم زيادته ، وفي تصحيف كثير من الكلمــات وتحــريفها ، تصــحيفًا وتحــريفًا يضــران بالمعنى ، وأخطاء في عدم الضــبط، أو فــي الضــبط الخاطئ ، أو في عدم تخريج ما يحتاج إلى تخريج من مصادره الأصلية إلى غير ذلك .

وســوف نتبع في إيرادها ما اتبعناه في إيراد ملاحظاتنا على تحقيق الجزء الأول ، مورديــن إياهــا على ترتيب صفحات وقوعها وإليك بيان نماذج دالة على ما نقول:

* ص ٨ / س ٧؛ ٨ جــاء في الكتاب : " غرامًا : هلاكًا . وقيل : مُلِحًّا . وقيل : ملازمًــا ؛ ومــنه : مُغْرَمٌ بالنساء : يلازمهن ، والغريم للمدين ؛ للزوم الدين عليه، وللدائــن ؛ للــزومه للمديــن ". وهذا نص صحيح لكنه كان يحتاج إلى تعليق ، أو تخــريج مــن معجــم بعينه هو مقاييس اللغة لابن فارس (غرم) ؛ لأنه هو المعجم المعنــي في تاريخ المعاجم العربية ، بفكرة الأصول وإدارة مشتقات الكلمة الواحدة حــول معــنى بعيــنه ، وما فعله ابن التركماني هو محض تأثر بابن فارس رحمه الله .

* ص ١٠/١١ يقــول المؤلــف " ضَــيْزٌ : ضُزٌ . وقرئ بهما ". ولم يعلق المحقق الفاضــل بشــيء على كلام المؤلف هذا ولم يخرج القراءتين ، ولم يعرفهما ؛ مع أنــه هــو وزميله محقق الجزء الأول كانا مغرمين دومًا بتلقف مثل هذه الإشارات مــن المؤلــف إلى القراءات والإسراع بتخريجها إن صوابا وإن خطأ من المراجع التــي يجدونهــا . ولعل مسوغ سكوت المحقق عن تخريج القراءتين هو أنهما قرئ بهمــا فــي غــير موضــع آية سورة الشعراء ، فلعل المؤلف يقصد (مطلق المادة

اللغويــة) حيث قرأ ﴿ لا يَضِرْكُمْ ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٢٠] بالتخفيف : حمزة، وأبــو عمــرو ، وقــرأ بالتشديد على الراء : ابن عامر ، وعاصم ، والكسائي كما في السبعة ، لابن مجاهد ٢١٥

ومـــا وجــدت أحــدًا نص على أن في آية الشعراء قراءة لا في المتواتر ، ولا في الشاذ ، والوحيد الذي نص على أنها قراءة هو ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٧

هــذا وقد ضبط المحقق كلمة ضُرٌ ، بتنوين الراء بالضم فحسب ، وحقها أن تكون مشــددة ، وأن تكون هي واللفظة التي تفسرها مفتوحتين مراعاة لمنهج المؤلف في إيراد اللفظة القرآنية وفق ضبطها في موقعها من الآيات الكريمة .

* ص ١٨/ س٩ يقــول المؤلــف: " جانٌ جنس من الحيات "، وهذا وفق التصور المعرفـــي العربي القديم، وكان الأمر يحتاج إلى تعليق، ولذلك التصور القديم أورد الجـــاحظ كلامـــا كثــيرا عــن الجن في كتابه الحيوان ١/٢٩١ وما بعدها. وانظر تفصـــيلا أكــثر في الحبائك في معرفة الملائك للسيوطي ص ١٠ــ١٤ وفقه اللغة للثعالبي (السقا) ١٩٧ و(خالد فهمي) ١/٢٢٤

* ص ٢٢/ س ٢ يقــول المؤلــف: " رَدِف لكـــم وردفكم : تبعكم وجاء بعدكم ". وهــذه وفــق قراءة المؤلف توهم أنها قراءتان، وهما ليستا كذلك، ولذلك كان على المحقــق أن يعلــق قائلا بأن (ردف) ليست قراءة، وإنما هي حالة يأتي فيها الفعل متعديا بنفسه، كما في الأفعال للسرقسطي ٣/٤٤

* ص ٢٤/ س٩ جــاء فـــي الكــتاب: " وكَــزه ، ولَكَزَه ، ولَهَزَه : ضربه بجميع كفــه ". وهــذه كلها قراءات فيما عدا لهزه، ولم يفطن محقق هذا الجزء إلى شيء مـــن هــذا ؛ لأنه لم يتمرس لا هو ولا زميله بأسلوب المؤلف وطريقته في تأليف كــتابه . ووكــزه هي قراءة الجماعة، وباللام قراءة ابن مسعود، وفي رواية بالنون أي نكــزه كما في المختصر ١١٤ ومعجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب ٧/٢٢ كمـــا أن صـــواب قوله بجميع كفه هو " بجُمْع " من غير ياء مثناة تحتية بعد المـــيم وبضـــم الجيم وسكون الميم؛ لأن هذا هو الأسلوب العربي، أي ضربه بيده وقد جمع أصابعه .

* ص ٢٧/ س ٥ كتـب المحقـق: " أَمَّةٌ : جماعة "، هكذا بفتح الهمزة والصواب بضمها .

* ص ٢٦/ س٨ كتـب المحقـق وزاد [قرئ]: " جذوة مثلثة: قطعة حطب غليظة فـيها نار بلا لهب ". ولم نكن بحاجة إلى زيادة هذه الكلمة التي بين معكوفين، كما لـم يخرج المحقق الكلمة من كتاب من كتب المثلث الغوي، وهي في الدرر المبثثة ٥٨

* ص ٢٨/ س ٥ جـاء فـي الكـتاب: " وكأن معنى بطِرت: أَبْطَرتْها معيشتُها ". وكانـت تحـتاج هذه العبارة من المحقق إلى تعليق لأن المؤلف ضمّن الفعل بطر معنى الفعلين غمط وكفر، وهذا الكلام ورد في الكشاف ٤٢٣/٣

* ص ٣٠/ س١٠ كتـب المحقق عجز بيت عنترة [من الكامل] في وسط السطر، وكان حقه أن يكتبه على شماله هكذا :

... ...   ويك عنتـرُ أقـدمِ

* ص ٣١/ س ٦ ضـبط المحقـق الفعل (ثَبُتَ) بضم عينه وهي الباء، والصواب (ثبَت) بفتحها لأنه من باب نصر مفتوح العين في الماضي .

* ص ٣٣/ س -١ ضـبط المحقـق الفعـل " يسرُون " المفسر للفعل " يحبرون " [سـورة الروم ١٥/٣٠] بتخفيف الراء المهملة، والصواب تشديدها؛ لأن الفعل من السـرور . وعلـق علـى قـول العرب " كل حبْرَة تتبعها عبرة " بأنه في غريب السجستاني، وليس ثمة شيء فيه .

* ص ٣٦/ س ١ ضـبط المحقـق قـول المؤلف : " لهوُ الحديث: باطلُه "، بضم الـواو مـن (لـه) وحقهـا الفتح لأنها وردت منصوبة في الآية الكريمة . وعادة المؤلـف إيـراد الكلمة المفسَّرة والمفسِّرة وفق النص القرآني . وقد ضبط المحقق التفسير بفتح اللام من كلمة (باطل) فأيهما الصواب إذن ؟

* ص ٣٦/ س -١ يقـول المؤلـف: " والصَّعَرُ: داء يقلب رأس البعير في جانبه، فشُـبِّه المتكـبر به ". وكان يحتاج إلى تعليق لأنه يكون في الوجه من الإنسان كما في خلق الإنسان للأصمعي ٢٠١

• ص ٣٨/ س ٣ أشـــار المؤلـــف إلـــى قـــراءة قوله تعالى: ﴿ الغُرُور ﴾ [سورة لقمـــان ٣١/٣٣] بضـــم الغين المعجمة. وقد خرجها المحقق معزوة إلى سماك بن حرب، وهي كذلك لأبي حيوة، ولابن السميفع في معجم القراءات ٢١٢/٧

• ص ٣٧/ حاشـــية ٤ خـــرج المحقـــق قراءة ﴿ صَلَلْنا ﴾ [سورة السجدة ٣٢/١٠] وقـــال إن قـــراءة الصـــاد المفـــتوحة والـــلام الأولى المفتوحة هي قراءة الأعمش والحســـن البصـــري وهي كذلك لعلي وابن عباس وأبان وقتادة ومعاذ القارئ، كما فـــي معجـــم القراءات ٢٢٥/٧ وفي هذه الحاشية تخليط عجيب انظر تصحيحه في المعجم.

كمـــا أن المؤلـــف قال إن أصل " صلَّ اللحمُ (أي نتن)، يقال فيهما: أصنَّ وصَنَّ " ولم يفطن إلى أنهما من الإبدال !

• ص ٤١ / س ٥ يقـــول المؤلف: " الحَناجِرُ: جمع حنْجَرَة وحُنْجُور وهما: رأس الغلصـــمة حيـــث تراه حديدا ". لم يخرج المحقق هذا الكلام من أي من تراث خلق الإنســـان، وهو في خلق الإنسان للأصمعي ١٩٧ وفي النفس شيء من كلمة حديدا هذه التي جاءت في آخر العبارة، ولعلها تكون: حديبا !

وقـــد عـــاد المحقق في ترجمة لفظ (الغلصمة) إلى المعجم الوسيط ٦٨٦/٢ وهذا لا يصـــح، فمعـــاجم الطـــب العربي القديمة، كناموس الألباء للقوصوني، وكان ينبغي العودة إليها مع تراث خلق الإنسان .

• ص ٤٢/ س ٢ ضـــبط المحقـــق لفظـــة (السُّـــرَاق) بتشديد السين وضمها وفتح الراء مخففة، والصواب فتحها مع تشديدها .

• ص ٤٢/ س ٧ قـــالَ المؤلـــف: " أقطارهـــا وأقـــتارها: جوانبها، الواحد: قطر وقـــتر". ولـــم يخـــرجه المحقـــق مـــن المعاجم، وهو في الصحاح (قطر) ٧٩٥/٢ و(قتر) ٧٨٥/٢ وفيه: أن قتر لغة في قطر .

• ص ٤٤ / س ٦ زاد المحقـــق قبل قوله تعالى: ﴿ قَرْنَ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٣] كلمـــة " قـــرئ "، ولا لـــزوم لها، ويزاد في حاشيته ٣ التي خصصها لتخريج

الآيـــة أنهـــا بالكسر أيضا للأعمش ، وهبيرة عن حفص عن عاصم، كما في معجم القراءات ٧/٢٨٣

* ص ٤٤/ حاشـــية ٤ فـــات المحقـــق أن يقـــول في تخريج قوله تعالى ﴿ قَرْنَ ﴾ بالفـــتح أن يـــزيد أنها لأبي جعفر وهبيرة والوليد بن مسلم عن أبي عامر، كما في معجم القراءات ٧/٢٨٣

* ص ٤٥/ حاشـــية ١ خرج المحقق قوله تعالى ﴿ خاتِم النبيين ﴾ [الأحزاب ٣٣/ ٤٠] بكســـر الـــتاء قـــائلا: قرأ عاصم وحده بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسر التاء، وعـــزا ذلـــك إلى ابن مجاهد في السبعة ٥٢٢، وهو كلام غير صحيح، لأن قراءة فـــتح الـــتاء هـــي قـــراءة عاصم كما قال، كما أنها قراءة العمري عن أبي جعفر والحســـن البصـــري والشـــعبي وزيـــد بن علي والأعرج بخلاف. وانظر: معجم القراءات ٧/٢٨٥ وما بعدها .

* ص ٤٦/ س ٦ جـــاء فـــي الكـــتاب: " أَوِّبِـــي: سبِّحي. وقيل هي حبشية "، ولم يخرجها المحقق من كتب المعرب، وهي في المتوكلي ١٠٤

* ص ٤٧/ س ١ جـــاء فـــي الكـــتاب: " والإِشْفَى: مِسْرَد ومسراد. أي: لا تجعل مســـمار الضلع دقيقا فيقلق، ولا غليظا فيكسر الحلق ". والعبارة بهذا الشكل ملبسة لا تفهـــم، وأرى أن بها نقصا تمامه ما يلي: " والإشفى: مسرد ومسراد [ويقال في قوله تعالى ﴿ وقَدِّرْ ﴾ أي: ... ".

* ص ٤٩/ س ٥؛ ٦ فـــي تخـــريج قراءات قوله تعالى ﴿ فُزِّعَ ﴾ [سورة سبأ ٣٤/ ٢٣] فـــي الحاشـــية الـــرابعة تخليط عجيب، يقول المحقق: " قرأ ابن عامر: فَزَّعَ، وقـــرأ الـــباقون: فُـــزِّع، وقرأ الحسن وقتادة: فَرَّغ، كما روي عن الحسن: فُرِّغَ "، ونســـب ذلـــك كلـــه إلى ابن مجاهد في السبعة ٥٣٠، والنشر ٣/٢٥٧، والمحتسب ٢/١٩٢ .

وقـــراءتا الجمهـــور اللـــتان بالزاء المعجمة صحيحتان في نسبتهما كما جاءتا عند المحقـــق. لكـــن قـــراءة فُرِّغ بضم الفاء والراء المشددة المهملة المكسورة هي لعبد

الله بـن عمـر وهيثم بن عوف وأيوب السختياني وأبي مجلز وأبي رجاء والنخعي وعمران وابن جرير وعكرمة عن أبي هريرة ومجاهد وابن يعمر.
ومـا روي عـن الحسـن بفتح الفاء لا بضمها، كما قال السيد المحقق. أما رواية ضـم الفـاء المـروية عن الحسن فصحيحة بشرط تخفيف الراء معها، وهو ما لم يفطـن إلـيه المحقـق، وهـو المـروي من طريق حميد الطويل. وانظر: معجم القراءات ٣٦٨/٧

* ص ٥٠/ س ٢ ضـبط المحقـق كلمة (الضّعْف) بتخفيف الضاد، مع أنها سبقت بسطر واحد في الآية الكريمة مشددة .

* ص ٥٠/ س ٧ خـرج المحقق الآية الكريمة ﴿ وأنَّى لهم التناوش ﴾ قائلا: [سبأ ٤٥/٣٤] و الصواب أنها في سورة سبأ ٥٢/٣٤ !

* ص ٥٠/ حاشـية ٣ خرج المحقق قوله تعالى ﴿ فكيف كان نكيري ﴾ [سبأ ٣٤/ ٤٥] بـياء بعـد الـراء المهملـة قائلا إنها قراءة ورش فقط، ونسي أن يزيد " في الوصـل ". ثـم إنهـا قراءة يعقوب وسلام وقفا ووصلا، كما في معجم القراءات ٣٨٨/٧

* ص ٥٠/ حاشـية ٥ خـرج المحقق قراءة قوله تعالى ﴿ التناؤش ﴾ [سورة سبأ ٥٢/٣٤] ناسـيا أن قـراءة غير الهمز قرأ بها بالإضافة إلى من ذكرهم: أبو جعفر ويعقـوب والبرجمـي عـن أبـي بكر. وقال في الحاشية نفسها إن حسينا الجعفي والأعشـى والكسـائي وأبـا بكـر عن عاصم قرءوا بغير همز، وهذا خطأ؛ لأنهم قرءوا بالهمز .

ومـثل هـذه الأخطاء كثير جدا في الجزء الثاني أيضا من الكتاب، بالنسبة نفسها التي وجدناها في الجزء الأول .

وهـناك ملاحظات عامة تتعلق بالإحصاء الذي تقدم في مقدمة هذه الطبعة حـول تـراث غريـب القـرآن لأن به نقصا معيبا، وأخطاء لا تليق، راجعة إلى اعـتماد المحققيـن على كتاب الكريم الرائد الأستاذ الدكتور حسين نصار (المعجم العربـي تاريخـه وتطـوره). وهـي دراسـة مع ريادتها وفضلها قد فات زمانها

واســتدرك علــيها كثيراً، ولا يليق في تاريخ الدراسات اللغوية والمعجمية الاكتفاء بإحصاءاتها التي جدّ عليها ما لا يمكن حصره مما فاتها وأهملته .

فضــلا عــن أن أخطــاء كثــيرة في فهرست مصادر التحقيق في جانبين أساســيين همــا نقــص المعلومــات التوثيقــية الوراقية (الببلوجرافية) من جانب. والاعــتماد علــى طــبعات غــير محققة لمجموعة من المصادر انتشرت طبعاتها المعتمدة المحققة وذاعت .

وفي هذه الملاحظة الثانية يمكن رصد ما يلي:

* ص ٣٥٣/ المصــدر ١ رجــع المحقــق إلى طبعة غير محققة للإتقان في علوم القرآن للسيوطي، مع انتشار المحقق الكريم المرحوم الأستاذ أبو الفضل إبراهيم.
* ص ٣٥٢/ المصدر ٩ لم يذكر تاريخ الطبعة التي اعتمدها من كتاب آدي شير (الألفاظ الفارسية المعربة)، والطبعة الموجودة الآن سنتي ١٩٨٧ــ ١٩٨٨م
* ص ٣٥٤/ المصــدر ٨ قــال المحققــان إنهمــا اعتمدا طبعة بدائع الزهور في وقــائع الدهــور لابن إياس التي أخرجتها الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر سنة ١٩٩٨ م والصــحيح أن هذه ليست سوى مصورة عن الطبعة التي أخرجها المعهد الألمانــي مــن جانــب وطــبعة دار الكتب المصرية التي أخرجتها بتحقيق محمد مصطفى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م وهو ما لم يقله المحققان.

ومثل ذلك فعلاه مع كتاب تاج العروس للزبيدي .

* ص ٣٥٤/ المصــدر ١٢ لــم يذكر المحققان سنة لطبعة كتاب تاج التراجم في مــن صــنف مــن الحنفــية، لابــن قطلوبغا، التي نشرها إبراهيم صالح عن دار المأمون للتراث بدمشق. وهي سنة ١٩٩٨ م
* ص ٣٥٦/ المصــدر ٥ رجــع المحققان إلى طبعة تفسير القرطبي التي شوهتها دار الكتب العلمية مع انتشار طبعة دار الكتب المصرية .
* ص ٣٥٧/ المصــدر ١ لم يعرف المحققان الطبعة العالية من جمهرة اللغة لابن دريــد التــي حققهــا الدكــتور رمزي البعلبكي ونشرتها دار العلم للملايين ١٩٩٤ وحــتى الطــبعة التــي رجعا إليها وقالا إنها لدار الفكر بيروت ١٣٥١ هــ ما هي

إلا طـــبعة المستشـــرق فرنـــتس كـــرنكو التي طبعها بحيدر آباد الدكن بين سنتي ١٣٤٤ ــ ١٣٥١ هـــ.

* ص ٣٥٧/ المصـــدر ٣ رجـــع المحققـــان إلـــى طـــبعة الحماسة البصرية التي أخـــرجها المجلـــس الأعلى للشئون الإسلامية، وهذا تضليل؛ لأن هذه طبعة ناقصة لـــم يخـــرج منها سوى جزأين، أخرجها كاملة الدكتور عادل سليمان جمال بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ٢٠٠٠ م

* ص ٣٥٨ / المصـــدر ٤ رجـــع المحققـــان إلى ديوان الأعشى ميمون بن قيس والأعشـــين الآخريـــن وقـــالا إنها لمكتبة ابن قتيبة بتونس سنة ١٩٩٣ وما هي إلا مصورة عن طبعة جاير .

وفـــي عـــدد ضـــخم مـــن دواويـــن الشعراء فات المحققان الاعتماد على الطـــبعات الجيدة المحققة، واعتمدا طبعات أخرى رديئة وناقصة، من مثل إهمالهما لطـــبعة الدكـــتور وليد عرفات لديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (لندن ١٩٧٠ م) وطـــبعة الدكـــتور عبد القدوس أبي صالح لديوان ذي الرمة (مؤسسة الرسالة)، وطـــبعة الموســـوي لديـــوان عنـــترة بن شداد (المكتب الإسلامي بدمشق) وطبعة الدكـــتور إحســـان عـــباس لديوان لبيد بن ربيعة (الكويت)، وطبعة الدكتور شكري فيصل لديوان النابغة الذبياني (دمشق).

* ص ٣٦١/ المصـــدر ٣ تـــرك المحققان طبعة الأستاذ أحمد محمد شاكر لكتاب الشـــعر والشـــعراء لابـــن قتيـــبة، ورجعا إلى طبعة صادر ١٩٠٢ ولم يعرفا أنها مصورة طبعة ليدن .

* ص ٣٦١ / المصـــدر ٩ رجـــع المحققـــان لمخطوطة كتاب الطبقات السنية في تـــراجم الحنفـــية للتميمـــي، مـــع وجود طبعة الدكتور عبد الفتاح الحلو رحمه الله تعالى.

* ص ٣٦١/ المصـــدر ١٣ رجـــع المحققان إلى طبعة غاية في الرداءة من كتاب طـــبقات المفســـرين للـــداودي التـــي أخرجتها دار الكتب العلمية، مع وجود طبعة الدكتور علي عمر (مكتبة وهبة).

* ص ٣٦٢/ المصــــدر ٢ رجـــع المحققـــان إلى طبعة العقد الفريد لابن عبد ربه، وقالا إنها بتحقيق محمد سعيد العريان، ولا أدري ما هذه الطبعة ؟

* ص ٣٦٢/ المصــــدر ٦ لــم يذكــر المحققان محقق غريب الحديث لأبي عبيد، وهو الدكتور حسين محمد محمد شرف رحمه الله تعالى.

وهناك كثير من الملاحظات غير هذه التي قدمناها هنا.

أمـــا فيما يتعلق بالأخطاء المتعلقة بإحصاء تراث الغريب، فإليك بيانها كما يلي :

أورد المحققـــان، ووافقهمـــا المشـــرف والمـــراجع، قائمـــة ضمت ثلاثة وخمســـين كـــتابا من تراث غريب القرآن، اعترفوا فيها جميعا أنهم كانوا عالة فيها علـــى دراســـة الرائد الأستاذ الدكتور حسين نصار، التي عنوانها (المعجم العربي نشـــأته وتطـــوره)، وقالا في الحاشية ١ ص ٧ وبقيتها ص ٨ " وسنضيف إليها ما وجدنـــا مـــن إشـــارات عـــن وجـــود مخطوطات أو طبعات للكتاب اعتمادا على الـــترجمة العربـــية لكـــتاب تـــاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وكتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين وغيرهما من المصادر التي أتيحت لنا ".

ولم يتح لهما بعد ذلك إلا كشف الظنون والفهرست لابن النديم !

وقـــد أدى اعـــتمادهما علـــى هذه الكتب التي تعد في لغة العلم قديمة، إلى أخطـــاء فـــي عـــدم معـــرفة المطبوع من هذه المؤلفات الغريبية، فضلا عما شاب قائمـــتهما مـــن نقص واضح جدا، مما يجعلنا نسبق فنقرر أن القائمة التي أورداها تحـــتاج إلـــى أن تتضـــاعف على الأقل، لتقترب من المائة الكتاب أو أقل من ذلك بقليل .

وفـــي القائمـــة الخمســـينية التـــي أورداهـــا أوهام في عدم معرفة الكثير المطبوع، منها :

١ـ لـــم يعرفا أن تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزابادي (ت ٨١٧هــ) والســـؤالات المعروفة بسؤالات نافع بن الأزرق (ت٦٥ هــ) لابن عباس (ت ٦٨ هـــــ) روايـــات لما زعماه (غريب ابن عباس)، وهما مطبوعان. والثاني تحديدا له

أكــثر مــن طــبعة قــام عليها الدكتور إبراهيم السامرائي في العراق، ثم الدكتورة عائشــة عــبد الرحمن بنت الشاطئ رحمها الله في القاهرة (١٩٧٠م)، ثم الدكتور محمــد أحمد الدالي (بدمشق ١٩٩٢)، ثم نُشرت رواية الطوسي له بتحقيق الدكتور خلف عبد الرحمن (بالقاهرة ١٩٩٩م).

كمــا أن المحققيــن الكريميــن لم يعرفا أن النسخة التي يشيران إليها من غريــب ابــن عــباس، حققها ونشرها الدكتور أحمد بولوط والدكتور صلاح الدين المــنجد، والدكــتور عــبد الحمــيد طلب، كل في طبعة مستقلة، ثم جاء المرحوم الكــريم الدكــتور رمضان عبد التواب فنسف هذه النسبة في مقدمة تحقيقه للخطب والمواعــظ لأبــي عبــيد القاسم بن سلام، ثم في مقال له في مجلة منبر الإسلام. وهي من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٢ــ لــم يعــرف المحققان أن كتاب تفسير غريب القرآن، لزيد بن علي (ت ١٢٠ هــ) نشره وحققه الدكتور حسن تقي الدين بمؤسسة الرسالة ١٩٨٦ م

٣ــ لــم يعــرف المحققان أن كتاب غريب القرآن للسجستاني حققه ونشره الأستاذ محمــد أديــب جمران بدمشق ١٩٩٦ م كما أنه محقق كأطروحة لرسالة الماجستير صنعها أخي وصديقي الأستاذ منير جمعة بآداب المنوفية ١٩٩٦م

أضــف إلــى مــا ســبق فوائت كثيرة لم تشملها قائمة المحققين الفاضلين (وهــذه القائمــة مخالفــة لقائمة أخي الأستاذ منير جمعة في كثير ليس هذا مجال مناقشة ذلك الخلاف)، وبيان هذه الفوائت كما يلي :

١. صحيفة علي بن أبي طلحة (ت ١٤٣ هــ)
٢. غريب القرآن لأبان بن تغلب (ت ١٤١هــ)
٣. غريب القرآن لابن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هــ)
٤. التفسير لغريب القرآن لمالك بن أنس (ت ١٧٩هــ)
٥. غريب القرآن للأخفش (ت ٢١٥هــ)
٦. غريب القرآن لابن السكيت (ت ٢٢٤ هــ)
٧. غريب القرآن لابن قادم (كان حيا سنة ٢٥١هــ)

٨. غريب القرآن لابن رستم الطبري (القرن الرابع الهجري).
٩. غريب القرآن لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)
١٠. غريب القرآن للجعد الشيباني (ت ٣٢٣ هـ)
١١. غريب القرآن لأبي الحسن العروضي (ت ٤٠٤هـ)
١٢. تفسير غريب القرآن للمهدي (ت٤٠٤ هـ)
١٣. تفسير غريب القرآن لابن فورك (ت ٤٠٦هـ)
١٤. تفسير غريب القرآن وتأويله على الاختصار للتجيبي ، حققه ونشره محمد حسن العظم بالقاهرة ١٩٨٠ م
١٥. تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب، نشره الدكتور علي حسين البواب بالرياض ١٤٠٦هـ ثم هدى طويل مرعشلي ببيروت ١٤٠٨هـ.
١٦. العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب، حققه يوسف مرعشلي، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤٠١هـ.
١٧. الرد على أبي عبيد في غريب القرآن لأبي عمر المليجي الهروي (ت ٤٦٣هـ)
١٨. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) وله أكثر من طبعة .
١٩. مفردات غريب القرآن للزقاق (ت ٦٠٥هـ)
٢٠. غريب القرآن للخزرجي (ت ٦٣٦هـ)
٢١. روضة الفصاحة في غريب القرآن للرازي (ت ٦٦٦هـ)
٢٢. التيسير العجيب في تفسير الغريب، لابن المنير (ت ٦٨٣هـ)
٢٣. الحسام المرهف في تفسير غريب المصحف للزيدي (ت ٧٣٠ هـ)
٢٤. تفسير غريب القرآن لابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ)، وقد نشره وحققه طه المجذوب في عالم الكتب ببيروت ١٩٨٧م

٢٥. أنــيس القريــب وجلــيس الأديــب فــي نظم الغريب لأبي الفتح التستري (ت٨١٢ هـ)

٢٦. الذهــب الإبريز في غريب القرآن العزيز للثالعبي الجزائري (ت ٨٧٥هـ)

٢٧. غريب القرآن لابن قطلوبغا (ت ٨٩٧هـ)

٢٨. ألفية في غريب القرآن للناشري اليمني (ت ٩٢٦هـ)

٢٩. شــذور الإبريــز فــي غريــب القرآن العزيز لابن إسرائيل (ت ١٠١٥هـ)

٣٠. تفســير غريــب القــرآن للطريحــي ، تحقيق محمد كاظم، مكتبة الأضواء ببيروت ١٩٨٦ م

٣١. المسلك القريب في ترتيب الغريب ، لمجهول متوفى ١١٠٦هـ.

٣٢. نظم غريب مشكل القرآن للصنعاني (ت١١٨٢هـ)

٣٣. رســالة فــي غريب القرآن لمصطفى الذهبي الشافعي (ت ١٢٨١ هـ)

٣٤. هديــة الإخــوان فــي تفسير ما أبهم على العامة من ألفاظ القرآن للحسيني (ت ١٣٠٧هـ)

٣٥. فتح المنان في تفسير غريب القرآن للشبلنجي (ت ١٣٠٨هـ)

٣٦. تفسير غريب القرآن للياياتي (ت ١٣٣٩هـ)

٣٧. أوضــح التبــيان في حل ألفاظ القرآن لعبد الرءوف المصري (ت ١٣٥٣هـ)

٣٨. غريب القرآن لابن موسى (ت ١٣٧٠هـ)

وقد حذفت من هذه القائمة ما اختلف فيه الغريب بالأخبار، مما هو أدخل فــي كتــب التفســير من غيرها. كما أخرجت من هذه القائمة كتب الغريبين التي تفرغت لبيان ما في القرآن الكريم والسنة المطهرة من الغريب، من مثل:

١ـ الغريبين للهروي (ت ٤٠١هـ)

٢ـ تفسير غريب القرآن والحديث للخوافي .

٣ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (ت ٥٨١هـ)

٤ـ معجم غريبي القرآن والحديث لابن الخراط الإشبيلي (ت ٥٨١هـ)

٥ـ المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي لابن عسكر.

وقد وقع المحققان في بعض الأخطاء النحوية والأسلوبية في تلك المقدمة التي تضمنت هذه القائمة الناقصة التي حاولنا الاستدراك عليهما فيها، ومن أمثلة تلك الأخطاء قولهما (ص ٣٨) في أثناء الحديث عن شعر المؤلف: " ومدحه شيخنا ... المادريني بقصيدة طنانة سمعتها عليه ... وعدتها أحدى وأربعون بيتا "، ولا تصح المخالفة هنا بين العدد والمعدود بحال .

وهذه الملاحظات التي ذكرناها هنا وقع فيها أيضا، أو في كثير منها، محقق الطبعة السابقة من الكتاب، الدكتور ضاحي عبد الباقي، كما وقع فيها محقق الطبعة اللاحقة أيضا الأستاذ مرزوق إبراهيم، والتي نشرتها الهيئة المصرية للكتاب (وهي مؤسسة حكومية عام ٢٠٠٣م)

هذه ملاحظات أرجو أن تجبر كسر هذا الكتاب القيم، وتكمل ما شابه من نقص، وليس هدفها ــ معاذ الله ــ التنقص من أحد أو من جهده، وإنما هي من باب العناية بالكتاب الكريم والحدب عليه، والغيرة على أن يخرج كتاب يشرح لفظ كتاب الله !!

كريم وبه من النقص مثل ما بهذه الطبعة، مما قد مر بك ورأيته .

قاموس

مصطلحات الحديث النبوي

دراسة معجمية نقدية

قاموس

مصطلحات الحديث النبوي

دراسة معجمية نقدية

(تمهيد)

لــيس ثمة شك في أننا نعيش – كما أزعم منذ زمن – عصر المعجم المتخصص؛ إذ أصبحت الحاجة ماسة إلى هذا النوع من المعاجم ؛ لأكثر من اعتــبار : لعــل في مقدمتها تلك الكثرة الكاثرة من مصطلحات العلوم على تنوع صنوفها ، وتعدد مجالاتها المعرفية .

ولأنه لم يعد صالحا بأي حال من الأحوال أن نبدأ بحث أي موضوع من دون تحديد مبادئه أو مصطلحاته الأساسية الدائرة في فلكه وميدانه ؛ بغية حســم مـــا يمكن أن ينشأ أو يثور من نزاع أو خلاف مرده إلى عدم تحرير المصطلحات ، وضبط تعريفاتها .

ولأنـــه كذلـــك لـــم يعد بمقدور أحد أن يزعم أنه يحيط بدلالات هذه الجمهـــرة من المصطلحات أو العبارات الاصطلاحية ، ولاسيما في المجالات المعرفـــية التي يجمعها رحم واحد ، أو هي خرجت من مشكاة واحدة ، والتي تخدم مجالا معرفيا موسعا . هذا جانب

وجانـــب آخر هو أن رسوم المصطلحات قد تتفق غير أن دلالاتها قد تختلف وتتنافر تبعا للثقافة التي أخرجتها ، وخضوعا لحواكم هذه الثقافة ، أو تلك . وليس أدل على ما نقول من مصطلح : (العلم) فهو في الثقافة الغربية التـــي تتحكم فيها منذ زمن ليس بالبعيد الحواكم المادية والعلمانية ـــ محصور في دائرة ما يدرك بالحس وتترجمه : (SCIENCE)

أمـــا في الثقافة الإسلامية التي يهيمن عليها الكتاب العزيز ، باعتباره الحـــاكم الأعلى لهذه الثقافة فهي ترى فيه زيادة على ما مر : ما يثبت بطريق سمعي غيبي مأمون .

لمثل هذه المسوغات ظهرت المعاجم الاصطلاحية وتنوعت وانتشرت وهي قسمان أو نوعان كبيران هما :

١- معاجم المصطلحات العامة التي تجمع مصطلحات علوم مختلفة ، وهذا القسم لم يعد يتجه أحد للتأليف فيه ؛ لاتساع رقعة المعارف ، ولميل العلوم المختلفة إلى الاستقلال والتمايز ، وقد عرف التراث المعجمي العربي عددا وافرا من معاجم هذا القسم نوّع أصحابها في بنائها وطرق ترتيب مداخلها ومصطلحاتها ؛ ما بين هجائية (تراعي الجذور ، أو مرتبة وفق شكل المصطلحات النهائي) كالكليات لأبي البقاء الكوفي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي أو التعريفات للجرجاني . وموضوعية مرتبة وفق الموضوعات ، بحيث يكون كل علم مستقل عن العلم الآخر ، كمفاتيح العلوم للخوارزمي الذي رتب معجمه بادئا بمصطلحات الفقه والعلوم الشرعية والعربية ثم مصطلحات العلوم الحِكْمية أو الدنيوية .

٢- معاجم المصطلحات الأحادية الخاصة التي تُفرد لمصطلحات علم بعينه ، وقد عرف التراث المعجمي العربي كثيرا من أنواع هذا القسم كالمعاجم الفقهية ، والأصولية والحديثية، والصوفية والكلامية والفلسفية إلخ . ومعاجم هذا القسم هي ما يسعى الأفراد والمجامع اللغوية إلى إخراجها لمواكبة حركة العلم ، وهي التي تشهد نموا وتطورا ورقيا . فضلا عن أن كثيرا من المجامع اللغوية قد نصت في دساتير نشأتها وقيامها على ضرورة خدمة هذا الجانب ، والتأليف فيه لمواجهة طوفان المصطلحات العلمية الوافدة من اللغات الأخرى والارتقاء بحركة العلم في البيئات العربية .

ومما يسعد له المرء أن يجد معجما مصطلحيا يخرج إلى النور ؛ ليخدم حركة العلم في مجاله المعرفي الذي ألف فيه . ومن هذا الباب نعرض لواحد من المعاجم الاصطلاحية الأحادية الخاصة التي خصصت للتعريف بمصطلحات علم من أوائل علوم الإسلام ، وأمسها رحما بشرعه وفقهه وكتابه الكريم ، ألا وهي مصطلحات علم الحديث النبوي الشريف ، التي وضعها واصطلح عليها المحدثون على مر العصور ؛ لخدمة السنة النبوية المطهرة .

وهذا المعجم الذي نتناوله في هذه الدراسة المعجمية النقدية هو كتاب (قــاموس مصـــطلحات الحديــث النبوي) الذي ألفه أو أعده (كما عبر هو) الأســتاذ محمد صديق المنشاوي ، وهو غير المقرئ المعروف . وقد قدم له الدكــتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، المدرس بجامعة الأزهر الشريف (مــن غــير بيان لتخصصه) وقد نشرته دار الفضيلة بالقاهرة سنة ١٩٩٦م وقــد كتب الأستاذ المؤلف فيما يشبه العنوان الفرعي الجانبي ، أسفل العنوان الرئيسي السابق : (قاموس يجمع مصطلحات المحدثين مرتبة أبجديا)

وســوف نعرض الكتاب ، متحدثين عن منهجه وطريقة بنائه وترتيب مداخلـــه وعدد المصطلحات الواردة فيه، أو ما يسمى في لغة صناعة المعجم الحديــث : كــثافة المعجــم . ثم نتناول مصادره وطريقة المؤلف في توثيق نقولــه. وفي أثناء عرضنا للكتاب ننقد ما نراه في حاجة إلى نقد ونكشف عما شـــابه من عيوب ونقص نالت من قيمته ووضعت من رتبته وأفقدت إلى حد بعيد الثقة في إمكان الاعتماد عليه ، أو الاطمئنان إلى النقل والإفادة منه .

ولــن نهمــل الحديث في أثناء عرضنا عن بيان طرق شرح المعنى الاصطلاحي التي اتبعها المؤلف في شرحه المصطلحات ، مع تقويمها وبيان مـــا اعتورها من نقص ، مع بيان المصطلحات التي أخل بها هذا المعجم فلم يذكرها . إلى غير ذلك مما يتعلق بنقد هذا المعجم والتعليق عليه.

(١)

بــدأ المعجم بمقدمة كتبها الدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، وقــد جــاءت هذه المقدمة عامة إلى حد بعيد ، خالية من كثير مما ينبغي أن تحتوي عليه أمثال هذه المقدمات .

وقــد تحــدث فيها عن أهمية السنة النبوية المطهرة ، من باب كونها مفســرة للكــتاب العزيز ، ومبينة له ، مؤكدة لما جاء فيه ومفصلة لما أجمل مــنه ومــزيلة لما أشكل من نصوصه الكريمة . فضلا عن أن السنة النبوية المطهرة جاءت بأحكام انفردت بها ، ولم ترد في الكتاب الكريم وهو ما يفسر قــول رســول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن **ومثله معه**)

[مسـند الإمـام أحمد ١٣١/٤] ومن هذه الأحكام التي انفردت بها السنة النبوية الشـريفة (تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها ، وتحريم كل ذي ناب من السباع ، ومخلب من الطير) [التقديم ص /٨].

وقـد بيـن صاحب التقديم في هذه المقدمة أنه لما دعت الدواعي إلى الحفـاظ علـى السنة هب العلماء إلى وضع " مناهج تمكنوا من خلالها تمييز الصـحيح من غيره ، ليس من جهة الإسناد فقط بل ومن جهة المتن أيضا ". [التقديم ص/٨ والواو التي بعد : بل خطأ ويجب حذفها].

ومـن بـاب الاهتمام بالسنة ، وحفظها وتدوينها والتعريف بها ألف العلماء في " معرفة المبهمات، وتواريخ الرواة وألفت مؤلفات خاصة بالثقات، والضعفاء ، والوضاعين ، من رواة الأحاديث ، ومن خلّط في آخر عمره من الـثقات ، وأوطان الرواة وبلدانهم ورحلاتهم وتنقلاتهم ومواليدهم ووفياتهم ، إلى غير ذلك " .[التقديم ص/ ٩]

وقـد اسـتخدم علمـاء الحديـث فـي ذلك عبارات (اصطلاحية) ومصـطلحات فكـان لهـم بذلك عرفهم الخاص ، وحدث اهتمام بالغ بألفاظ الـتحمل والأداء ، ومراتـبها وألفـاظ الجرح والتعديل ، وهي كثيرة عسير حصرها وهي دقيقة وبعضها يحتاج إلى بيان بها .

" وكذلك أنواع الحديث وهي كثيرة تحتاج إلى بيان المراد بكل نوع : كـالمقلوب والمسلسـل والمنقطع والمرسل والخفي والتدليس وأنواعه والشاذ ... " [التقديم ص/٩-١٠]

وليست هذه وحدها المصطلحات التي عنى بها علماء الحديث ، فلهم " مصـطلحات أخـرى كالاعتـبار ، والمـتابعات والشواهد والإسناد العالي والإسناد النازل والمؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق ، وغير ذلك كثير مما يهم دارس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ". [التقديم ص/١٠]

ولـم يذكر صاحب التقديم أي شيء من خصائص المعجم الذي يقدم لـه، ولا عـرض لميزاته أو قيمته أو كيفية الإفادة منه أو المحاذير الواجب توقيها عند استخدامه ولا مفاتيح هذا الاستخدام ، ولا عما سبقه من جهود في تراثنا العلمي العربي والإسلامي فقد اهتم بهذه المصطلحات أصحاب مؤلفات

مصـــطلح الحديــث ، عـــندما حـــرروا هذه المصطلحات في مقدمات أبواب مؤلفـــاتهم كمـــا اهتم بها أصحاب المعاجم الاصطلاحية العامة كالخوارزمي والجرجانــــي والكفـــوي وابـــن كمـــال باشا والسيوطي والتهانوي والمناوي وغيرهم.

(٢)

ثـــم جـــاءت مقدمة المؤلف قصيرة مقتضبة ، شغلت ثلاث صفحات اثنـــتان مـــنها لأسماء العلماء ، وأسماء الكتب التي وردت في معجمه ، وقد اكـــتفى فـــي الصـــفحة الأولى منها بالحديث عن منهج معجمه ، والهدف من وراء تألـــيفه حديـــثا موجـــزا مقتضبا إلى حد الإخلال يقول : " فهذا كتاب : (قـــاموس مصـــطلحات الحديث النبوي) ... جمعت فيه مصطلحات الحديث النبوي : ما يتعلق بالإسناد والمتن والقبول والرد ، بسبب سقط من الإسناد أو بســـبب طعن في الراوي والمشترك بينهما من الموقوف والمرفوع والمقطوع وما يتعلق بصفة الراوية من الجرح والتعديل والرواية وآدابها وكيفية ضبطها ولطـــائف الإســـناد ومعـــرفة الرواة وغير ذلك من الألفاظ وعبارات خاصة ببعض العلماء وأئمة الحديث ". [مقدمة المؤلف ص/١١]

ثم بين أن منهجه في بناء معجمه ، وفي ترتيب مداخله (مصطلحاته، وعـــباراته الاصـــطلاحية) خارجيا هي الترتيب الهجائي . يقول المؤلف [في المقدمة ص/١١] " وذكرت هذه الألفاظ وتلك المصطلحات ، مرتبة على أحرف المعجم (هجائيا وليس أبجديا كما كتب في عنوانه معجمه الفرعي).

وقد بين أن الهدف من تأليف هذا الكتاب هو التيسير على الباحثين ، يقـــول المؤلف [في مقدمته ص/١١] وقد جمعت هذه المصطلحات " ليسهل على الباحثيـــن العـــثور عليها والاستفادة منها . ولم أذهب في ذلك كله إلى التوسع فـــي ذكر تعريف العلماء إلا فيما تبنى عليه فائدة أو زيادة جديدة قاصدا بذلك الإفادة والتيسير " .

وهـــو لم يبين لنا معيار الفائدة التي حكمته في عدم التوسع في إيراد تعـــريفات العلمـــاء للمصطلحات الحديثية المختلفة ، وهو من جانب آخر قد أخـــل بهذيـــن الهدفين في كثير من المواضيع كما سنرى إن شاء الله تعالى .

كمـــا لم يبين المؤلف طبيعة المستخدمين لهذا المعجم الذين ألف من أجلهم ، هل هم طلاب العلم ومن أجل ذلك لم يتوسع ، أم أنهم المتخصصون وما فائدة عدم التوسع إذن ؟

وقـــد رتـــب المؤلـــف مداخـــل معجمـــه (المصطلحات والعبارات الاصطلاحية) ترتيبا خارجيا وفق الترتيب الهجائي وقد قال هذا .. ولكنه لم يقـــل إنهـــا مرتـــبة وفق شكلها النهائي ، أي من غير حاجة إلى العودة إلى جذورها الاشتقاقية الأولى ، بمعنى أن المصطلحات مرتبة وفق شكلها النهائي المســـتخدم من دون التفات إلى أصولها التي اشتقت منها ، ولذلك فأنت تجد : (أبـــاح) تسبق : (الأبدال) [ص/١٥] وهما ليسا لو راعينا الجذور الاشتقاقية . كمـــا تجـــد : (تحمـــل الحديـــث) تسبق (التجويد) وهما ليسا كذلك إن راعينا جذورهما الاشتقاقية .

وهـــذا المـــنهج فـــي ترتيب المداخل خارجيا قديم في تراث العرب المعجمي صنعه الجرجاني في تأليف معجمه المصطلحي العام : (التعريفات) وفعله الأموي المالكي في تأليف معجمه الفقهي الذي شرح فيه الألفاظ الفقهية الـــواردة فـــي كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب النحوي المالكي . ولم يأتِ المؤلف بشيء من هذا كله.

ثـــم عـــرج المؤلف بعد هذا البيان الموجز لطريقة ترتيب المداخل أو المصطلحات والعبارات الاصطلاحية خارجيا ، مع الأخذ في الاعتبار أنه لم يـــراعِ أي مـــنهج في الترتيب الداخلي إذا ما جاءت تفريعات أو أنواع تحت مصـــطلح واحـــد ، فكـــان يحشدها كيفما اتّفق له – على ذكر " رموز الأئمة والكتـــب التـــي (استعان) بها في هذا الكتاب ، مرتبة على حروف المعجم ، فذكر الأعلام التي رجع إليها . واعتمد عليها وهي :

الإمام سراج الدين ***البلقيني*** ، وطه بن محمد ***البيقوني*** ، وأبو عيسى محمد بن عيســـي ***الترمذي*** ، وبدر الدين ***بن جماعة*** ، وأبو عبد الله النيسابوري ***الحاكم وابن حجر العسقلاني*** ، وعلي بن عمرو ***الدارقطني*** ، ونور الدين ***السخاوي*** وجـــلال الديـــن ***السيوطي*** ، وأبو عمرو ***بن الصلاح*** وبدر الدين ***الطيبي*** وأبو

عمـــرو يوسف ***بن عبد البر*** ، ***والعراقي*** ، ومحمد بن يزيد القزويني ***بن ماجة*** ويحيى بن شرف ***النووي*** .

[مقدمـــة المؤلف ص/١٢ مع مراعاة أنها مرتبة هجائيا وفق اسم الشهرة وقد كتبتها بالخط الثقيل]

ثـــم ذكر الكتب والمصادر التي اعتمد عليها ونقل منها مادته وهي : الأم للإمـــام الشـــافعي وتدريـــب الراوي للسيوطي والتقريب للنووي وتقريب التهذيـــب لابن حجر العسقلاني وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني والرسالة المســـتطرفة للكتانـــي وســـير أعـــلام النبلاء للذهبي وفتح المغيث للسخاوي والقـــاموس المحـــيط للفـــيروزابادي ولســـان العرب لابن منظور الإفريقي المصـــري والمقدمـــة لابن الصلاح والمنهج لنور الدين عتر والمنهل الروي لابـــن جماعـــة ونخبة الفكر لابن حجر العسقلاني ونزهة النظر له والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . [مقدمة المؤلف ص/١٣]

ثم أخذ في شرح المصطلحات والعبارات الاصطلاحية الحديثية مرتبا إياهـــا علـــى حروف المعجم مبتدئا بحرف الهمزة ومنتهيا بحرف الياء وفق الترتيب المشرقي وقد خلا حرف الظاء من المصطلحات .

وقـــد تفاوتـــت المصطلحات في كثافة ورودها من باب (أو حرف) إلـــى بـــاب (أو حرف) آخر حيث زادت المصطلحات الواردة على حروف الهمـــزة والمـــيم والقاف ، على حين قلّت المصطلحات التي وردت في بقية الأبواب أو الحروف الأخرى .

وقد احتوى هذا المعجم على ما يقرب من أربعمائة (٤٠٠) مصطلح وعـــبارة اصطلاحية حديثية مع حذف الأنواع والمتفرعات عنها ، ولو أدخلنا هذه الفروع في الإحصاء لقفز العدد هذا إلى ما يقرب من خمسمائة وخمسين مصـــطلحا وعـــبارة اصـــطلاحية ؛ فعلـــى سبيل المثال تجد تحت مصطلح (الإجازة) ما يقرب من عشرين نوعا وتحت مصطلح (الإخبار) أربعة أنواع وتحـــت مصـــطلح (الإســـناد) ثلاثة أنواع ؛ وتحت مصطلح (الإنباء) خمسة أنـــواع؛ وتحت (التابعي) ثلاثة؛ وتحت التخريج مصطلحان وتحت (التدليس) خمســـة وتحت (الترجيح) سبعة وتحت (التصحيف) ستة وتحت (الثبت)

أربعـــة ؛ وتحـــت (الثقة) تسعة وتحت (الجيد) ثلاثة وتحت (التحديث) أربعـــة عشر وتحت (الحديث) ستة وتحت (الحسن) ثمانية ؛ وتحت (الرواية) اثنتا عشرة عبارة اصطلاحية حديثية وتحت (الزيادة) خمس عبارات وتحت (الســـماع) ست عبارات وتحت (الشذوذ) ثلاث مصطلحات وتحت (الصحيح) ست مصطلحات وتحت (الصدق) ثمانية أنواع وتحت (الضعف) سبعة أنواع وتحت (العلو) سبعة وتحت (الغرابة) ثمانية .

وغـــير ذلك من التعريفات كثير تحت غالب المصطلحات ؛ مما زاد وارتفع بعدد المصطلحات والعبارات الاصطلاحية الواردة في هذا المعجم .

وتحب أن تشير إلى أمر آخر كان له أثر في زيادة عدد المصطلحات والعبارات الاصطلاحية ألا وهو التكرار ؛ أي تكرار مصطلحات أو عبارات اصـــطلاحية مترادفة في أكثر من حرف وتقدر هذه المكررات بنحو عشرين بالمائة .

وقـــد تفاوتـــت المصـــطلحات (في بنيتها) طولا وقصرا وتباينت في توزعهـــا علـــى الأســـماء والأفعـــال ، والجمل الاسمية والفعلية والتراكيب الإضـــافية والوصفية وأشباه الجمل ، ففي الباب الأول وهو باب الهمزة على ســـبيل المـــثال : ورد علـــى الأسماء ما يقرب من ثلاثة وعشرين مصطلحا وعـــبارة اصـــطلاحية وعلـــى العبارات أو الجمل الاسمية ورد ما يقرب من عشـــر مصطلحات وعبارات ؛ وعلى العبارات أو الجمل الفعلية ما يقرب من خمـــس وأربعيـــن جملـــة وعبارة ؛ والزيادة هنا لها ما يسوغها لأن جمهرة الأبـــواب فـــي علوم الحديث ، ومصطلحه والجرح والتعديل ، تتعلق بطرق تحمـــل العلم وروايته وسماعه ، وبيان درجات تقبل الرواية أو ردها ، وكلها يتم التعبير عنها في هذه العلوم عن طريق استخدام الأفعال .

وقـــد جاء على أشباه الجمل ما يقرب من ثلاث عبارات اصطلاحية ؛ وعلـــى الاختصـــارات ثلاث وعلى التراكيب الإضافية ما يقرب من عشرين تركيبا إضافيا وعلى التراكيب الوصفية ما يقرب من خمسة تراكيب وصفية . وهذه عينة عشوائية تريك سير هذا التفاوت الذي أنبأتك به .

كمـــا ضـــم هـــذا المعجـــم عددا من الاختصارات الدوارة في كتب المحدثيـــن بلـــغ عددهـــا في هذا المعجم نحوا من عشر اختصارات هي كما يلي:-

١- ص/١٥ (أبـــنا= وهـــي اختصار كلمة أخبرنا ولا تحسن زيادة الباء قبل النون ، وإن فعله البيهقي وغيره لئلا يلتبس برمز حدثنا)

٢- ص/٢٥ (أرنا= هذا اختصار كلمة : أخبرنا)

٣- ص/٣٣ (أنا = هذا اختصار لفظ : أخبرنا)

٤- ص/٥٠ (ح = وهذا الحرف يكتب إذا كان للحديث إسنادان ، أو أكثر - كتـــبوا عـــند الانـــتقال من إسناد (ح) . ولم يعرف بيانها عمن تقدم . وكتب جماعة من الحفاظ موضعها : (صح) فيشعر ذلك بأنها رمز : (صح).

٥- ص/٥٨ (دثنا = هذا اختصار كلمة : حدثنا ووجدت الدال المذكورة في خط الحاكم ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، والبيهقي {وهذا كلام ابن الصلاح وهـــذه الزيادة من عندي ليرتفع الوهم أن يكون الأستاذ مؤلف هذا الكتاب هو الذي رأى خط هؤلاء الثلاثة العلماء } .

٦- ص/٨٠ (دثني = هي اختصار كلمة : حدثني) .

٧- ص/٨٧ (قثني = اختصار : (قال: حدثني).

وقد استخدم المؤلف في محاولة لاختصار كتابه وعدم توسيعه (كما اســـتهدف في مقدمته) ***آلية الإحالات*** بنوعيها التقدمي الأمامي ، والارتدادي الإرجاعـــي لمواجهة المصطلحات المترادفة أو المتواطئة التي توزعت على أبواب أو حروف مختلفة .

وقـــد كـــنا نود أن يشرح المؤلف المصطلح أو العبارة الاصطلاحية الحديـــثة في أول مرة يرد فيها ، ثم يحيل فيما بعد فيما يأتي بعده إلى ما سبق إحالات ارتدادية إرجاعية .

وهـــذه الإحـــالات لم تأت بالثمار المرجوة من جراء توظيفها ؛ لأنه يشـــرح المصطلح أو العبارة الاصطلاحية في كل مرة يرد فيها وبذلك فقدت الإحـــالات بعضـــا من هدفها وهو تقليص حجم الكتاب ، وإن كان ثمة هدف آخـــر يـــرجى مـــن وراء استخدام هذا النوع من الإحالات وهو زيادة ترابط

المداخل المترادفة أو المتداخلة الدلالة ، بحيث يكون ضروريا مراجعتها كلها عند قراءة أحدها ، فيما يمكن أن يسمى بعائلة المصطلح الدلالية .

ومن أمثلة هذه الإحالات :

١- ص/٨٠ (العلـة = هـي سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث) *[راجع علل الحديث]*

٢- ص/٧٩ (علـل الحديـث = هي عبارة عن أسباب خفية قادحة فيه ... ويتطرق ذلك إلى الإسناد)

[ولم يحل في هذا الموضوع إلى العلة !]

٣- ص/٨٢ (العنعنة = رواية الحديث بصيغة عن فلان *[راجع المعنعن]*

٤- ص/١٢٦ (المعنعن = لغة: اسم مفعول من : عنعن ؛ أي (عن ، عن). اصـطلاحا = هو قول الراوي : فلان عن فلان ، بلفظ : عن ، من غير بيان للتحديث والإخبار والسماع) *[ولم يحل هنا إلى العنعنة]*

ونـادرا مـا كان يحيل فقط من دون شرح في الموضعين ، كما هي عادتـه، ومـن أمثلة هذه المواضع التي كتبت فيها بعد المدخل مباشرة عبارة الإحالة ما يلي :

ـــ ص/١٢٦ (المفردات): *[راجع الأسماء المفردة]*.

وفـي هذه المرة سقطت عبارة الأسماء المفردة التي أحال إليها فهي لا وجود لهـا في المعجم كله ، ومراجعة المصطلحات والعبارات الاصطلاحية التالية (ص/٢٥) : الاستشهاد ؛ والاستفاضة ؛ والأسماء التي يشترك فيها الرجال والنسـاء ؛ والأسـماء والكنى ، وليس بينها الأسماء المفردة المحال إليها في المفردات – دليل على سقوطها كما قلت .

وقـد فعـل المؤلـف الشيء نفسه في معرض حديثه عن مصطلح : (المقاطيع أو المقاطع) حيث أحال فيه إلى (المقطوع) (ص/١٢٦)

ومثل ذلك فعله في تعريف مصطلح : (النزول) (ص/١٣٨) حيث أحال فيه إلى مصطلح (الإسناد والنازل) (ص/٢٨)

ومثل ذلك فعله في شرح عبارة: (هذا سماعي عن فلان) (ص/١٤٠) حيث أحال فيه إلى مصطلحات: (الإعلام) (ص/٢٩) ؛ و(الإجازة) (ص/١٦) و(السماع) (ص/٦٦) وهذا ترتيبه .

وإن كانت هذه الظاهرة نادرة الحدوث والغالب ما سبق أن أشرنا إليه من شأن شرح المؤلف للمصطلحات المكرورة في كل مرة ترد فيه .

ويمكـن مراجعة كثير من الإحالات في كل صفحة من صفحات هذا المعجـم في مثل المصطلحات التالية : الإجازة ص/١٧ ؛ والأبدال ص/١٥ ؛ والإدراج ص/٢٤ ؛ والإرسال ص/٢٥ وهكذا .

وفـي بعض الأحيان يذكر المؤلف المدخل (مصطلحا كان أو عبارة اصـطلاحية حديثـية) ثم لا يشرحها مكتفيا بضرب المثال ، وهي طريقة من طـرق شـرح المعـنى المعجمي وهي معيبة إن استخدمت وحدها من دون تعريف سبقها ، كما في المثال التالي :

ـ (ص/١٢٥) (معـرفة النسـب التـي علـى خلاف ظاهرها = من أشهر المصـنفات فـيه كـتاب الأنسـاب للسمعاني) . وقد مثّل كما ترى لمؤلفات الأنساب بكتاب السمعاني من دون تعريف للعبارة التي أوردها ، مع أن هناك كتبا أخرى للحازمي ؛ والأمدي ؛ والقيسراني، وغيرهم في أنساب المحدثين.

وهـو في كثير من هذه الأمثلة التي يوردها ويذكرها ، ولا سيما من الكتـب لا يذكر أنها طبعت، وحققت وكان من الضروري أن يذكر أمثال هذه المعلومات الوراقية (البيلوجرافية) ؛ لأهميتها في هذا السياق .

(٣)

وقـد تنوعـت ***طـرق شرح المعنى المعجمي*** المستخدمة في شرح دلالات المصـطلحات الـواردة وتوضـيحها فـي هذا المعجم ما بين شرح بالـتعريف وشرح بالتمثيل وشرح بالمغايرة وشرح بالترادف وشرح سكوتي يسـمى شـرحا مجـازا ، وهو السكوت بعد إيراد المدخل اكتفاء أو ظنا أنها معلومة لا تحتاج إلى بيان أو توضيح (راجع مفاهيم هذه الطرق في المعاجم اللغوية للدكتور محمد أحمد أبو الفرج وصناعة المعجم الحديث للدكتور أحمد مختار عمر رحمهما الله وتراث المعاجم الفقهية في اللغة للدكتور خالد فهمي).

١ – ***والشـــرح بالـــتعريف*** يقصـــد المعرّف إلى توضيح حقيقة ما وضع اللفظ بإزائه ، أو هو توضيح دلالة لفظ وتفصيل معناه وتفضل المصطلحية أو علم المصـــطلح الحديث ، نقلا عن المناطقة – أن يكون التعريف جامعا مانعا من مـــثل تعـــريف المؤلف لمصطلح : (الحديث الغريب) (ص/ ٨٣) بأنه (هو ما انفرد واحد بروايته أو بروايته عمن يجمع حديثه) .

وقـــد وقع المؤلف في الإبهام في كثير من تعاريفه للمصطلحات عن طريق تكرير المصطلح في لغة الشرح كما في مصطلح: (الإعلام) (ص٢٩) حيـــث قـــال: (هـــو إعـــلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه مقتصـــرا علـــيه) والصواب أن يقول المؤلف: هو إخبار الشيخ الطالب ...؛ لأنه لا يصح إعادة المراد شرحه في لغة الشرح !

٢– ومن طرق شرح المعنى التي استخدمها المعجم طريقة ***الشرح بالمرادف*** وهـــو أن يذكـــر بإزاء المصطلح المراد شرحه ، كلمة واحدة مرادفة له ومن محاذيـــر هـــذه الطريقة أن يلتفت إلى ما بين الكلمتين من تطابق أو ما بينهما من فارق في المعنى ، ومن أمثلته في هذا المعجم :

ـــ ص/٥٦ (الخبر = مرادف للحديث)

ـــ ص/١١٢ (المستفيض = مرادف للمشهور) .

٣– وفـــي بعـــض الأحـــيان يلجـــأ المؤلف إلى عدم الشرح بالتعريف ، ولا بالمـــرادف ولا بأي طريقة وإنما يورد المصطلح ، ولا يشرحه ظنا أنه معلوم للقـــارئ وأنا أسميه ***الشرح السكوتي*** تأثرا بالإجماع السكوتي عند الأصوليين وقد يفعله المؤلف اعتمادا على تداول المصطلح وانتشاره .

والظن أنه متداول المعنى لا يحتاج إلى بيان فيه خطورة واضحة لأن الوضوح والغرابة مسألة نسبية تتغير بتغير الزمان والبيئات ؛ ولأنه قد يصبح اللفـــظ في زمان ما واضحا ثم ينقلب غامضا ، ويكون واضحا في بيئة ثم هو غامض في بيئة أخرى .

ومـــن أمثلة سكوت المؤلف عن شرح المعنى ما فعله بإزاء مصطلح (الســـماع) : ص/١٦٦ (الســـماع : وهو ضربان: السماع من لفظ الشيخ . والقراءة على الشيخ). مكتفيا ببيان أنواعه كما مر .

٤ – ومن طرق شرح المعنى التي استخدمها المؤلف ***الشرح بالمغايرة*** ونقصد بهـا الاكـتفاء بذكـر ضـد الكلمة المراد شرحها وفي ذلك أيضا كثير من المخاطـر، ومـن أمثلة ذلك في هذا المعجم شرح مصطلح : (الانقطاع) ؛ ومصطلح (الاتصال) :

ــ ص/٣٣ (الانقطاع) = ضد الاتصال)

ــ ص/١٦ (الاتصال = ضد الانقطاع)

ولـم يستخدم المؤلف أيا من طرق شرح المعنى التي تستخدم الصور أو الرسـوم أو الخطـوط على الرغم من دعوة صناعة المعجم الحديث إلى ضـرورة توظيفها ونحن في حاجة إليها هنا في بيان مصطلحات المسلسل أو الإلحاق ؛ أو اللحق أو التضبيب وغيرها .

وقـد وقـع المؤلـف في عيوب كثيرة وهو يشرح ، أو ينقل شرحا للمصـطلحات أو العـبارات الاصطلاحية الحديثية . فهو قد وقع فيما يسمى اسـتعارة مـن المناطقة الشرح بالدور ، وهو أن يشرح مصطلحا بلفظ آخر مـرادف له ، ثم يعود فيجعل الشرح مدخلا ويشرحه باللفظ الذي كان مدخلا فيما سبق ، كما في المثال التالي :

ــ ص/٣٧ (التجويد = ويسمى التسوية)

ــ ص/٤٢ (التسوية = ويسمى التجويد)

وكما في المثال التالي الذي مر من قبل:

ــ ص/٣٣ (الانقطاع = ضد الاتصال)

ــ ص/١٦ (الاتصال = ضد الانقطاع).

وهـذه طـريقة مـبهمة لا تقدم شيئا ولا تضيء أيا من المصطلحين المتداخلين نظرا لتعاقبهما ودورانهما في لغة الشرح بالتبادل والدور .

وقـد يقع المؤلف في أثناء شرحه بعض المصطلحات في خطأ إيراد بعض المفردات الغامضة التي تعيق فهم دلالة المصطلح المراد شرحه ، وهو لـم يلتفت إلى هذا لأنه ينقل عن القدامى من دون أن يعبر عن هذا المنقول بلغة واضحة معاصرة مفهومة مفسرة ومن الأمثلة على ذلك .

ــ ص/٧١ (صح = تأتي بمعنى التصحيح وتأتي آخر اللحق) .

وفي موضوع آخر يقول :

ـــ ص/٧١ (صح رجع = يكتب هذا اللفظ بعد الانتهاء من اللحق) .

فكلمـــة اللحـــق التي وردت في هذين النصين السابقين كانت تحتاج إلى بيان وإيضـــاح . وهـــي ما يزيده صاحب النسخة على أحد هامشي الصفحة يمينا ويســـارا ويشار إليها عادة بخط مائل ناحية الجهة التي يكتب فيها ، فإن كانت جهـــة اليميـــن رسم لها في السطر هذه العلامة متجهة إلى مكان الزيادة هكذا (┌) وإن كانت الزيادة جهة اليسار رسمت متجهة هكذا (┐) .

وقد جاء في تعريفها في هذا المعجم ما يلي :

ص/٩٣ (اللحق = اصطلاحا ، الساقط في الحواشي ، ويسمى بذلك عند أهل الحديث والكتابة) . والكتابة هنا ليست التَّرسُّل وإنما يقصد عند أصحاب علم المخطوطات والمحققين .

وحـــق الكلمـــة أن تفســـر فـــي النصين السابقين حتى يتضح مفهوم الرمزيـــن المستخدمين في تصحيح النسخ وهما (صح) و (صح رجع) (راجع مناهج تحقيق التراث للدكتور رمضان عبد التواب)

وقد حرص الأستاذ المؤلف أن يذكر المعنى اللغوي في افتتاح شرحه للعـــبارات الاصـــطلاحية الحديثـــية والمصطلحات وهو منهج محمود لبيان العلاقـــة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للفظ قيد الشرح ، ولبيان القوانين الدلالـــية المفسرة التي تحكم انتقال اللفظ من المعنى اللغوي المعجمي الحقيقي إلـــى المعـــنى العرفي الاصطلاحي الحديثي من انتقال أو تخصيص أو تعميم إلـــى غير ذلك . ولكنه لم يحرص عليه في كل مرة في كثير من الأحيان في مثل : علل الحديث ص/٧٩ ؛ والعلو ص/٨٠ ومطرح ص/١٢٠

وقد أدى استخدام المؤلف للترتيب الهجائي وفق شكل الكلمات النهائي إلـــى تـــوزع المصطلحات المترادفة أو المترابطة على أماكن متعددة متفرقة فأنت واجد على سبيل المثال :

أضـــبط ص٢٩ في باب الهمزة ؛ والضبط والضابط ص٧٥ في باب الضاد، مع أنهما جميعا من جذر لغوي واحد هو (ض ، ب ، ط).

كمـــا أنـــك واجد : وضاع ص/١٤٢ ووضع ص/١٤٢ في باب الواو ويضع ص١٤٣ فـــي باب الياء مع أنها جميعا من جذر لغوي واحد هو (و ، ض ، ع) .

كمـــا أن ترتيبه لكتابه وفق شكل الكلمة النهائي قد شابه بعض الخلط

ــ فهـــو فـــي باب الضاد ص/٧٥ ذكر مصطلح : (الضبط) قبل مصطلح : (الضابط) والصواب قلب هذا الترتيب .

ــ وأورد (إجـــازة الطفـــل) ص/١٨ بعد (إجازة معين) ص/١٨ قبل (إجازة معين غيره) والصواب قلب ذلك الترتيب .

ــ ومن أمثلة هذا الاضطراب أيضا في الترتيب : مجيء (المعلق) ص/١٢١ سابقا (المعل) والصواب قلب ذلك الترتيب .

ــ وكذلـــك مجيء : المعرفة ص/١٢٢ بعد (المعل) و(المعلق) والصواب أن تأتي قبلهما . وغير هذا كثير جدا في الكتاب .

ومـــن المعايير التي يُحتكم إليها في قياس جودة المعجم أو رداءته ؛ وفـــاؤه بـــتوزيع المداخل أو المصطلحات في المظان التي يمكن لمستخدمي المعجم أن يذهبوا إليها وهو ما يمكن أن يسمى بحسن توزيع المواد المعجمية على المداخل المظنونة .

وهـــذا المعـــيار ساقط في كثير من الأحيان في هذا المعجم وهو أحد آثـــار غـــياب الهـــدف من صناعته ، وهو تيسير الوقوع على شروح الألفاظ المعجمية من دون عناء ومن دون إضاعة للوقت في البحث عنها كما أنه أحد آثـــار ضـــآلة قائمـــة مصادره وغياب كثير من المصادر الأصيلة عنه ومن الأمثلة على غياب هذا المعيار ما يلي :

ــ أورد المؤلـــف مصـــطلح (المتواتر) في باب الميم وصنع له مدخلا خاصا في ص/١٠٢ والقواعد في أصول صناعة المعجم تقضي بأن يأتي به مرة في (الخبر المتواتر) ، وفي (الحديث المتواتر) بجانب وروده في (المتواتر)، ولو أنه راجع المعاجم الاصطلاحية السابقة عليه والتي فاته الإفادة منها ، لما فعل ذلك.

ـــ ومثل ذلك يمكن أن يقال عن خلو المعجم من مصطلح (الصحة) مع وجود (الصحيح) ص/٧٢ وغير ذلك كثير .

ولا تســويغ لذلك بإرادة الاختصار ، أو الفرار من التكرار لأنه كان بإمكانـــه شـــرح المعنى في واحد من هذه المواضع فقط ثم الاكتفاء بالإحالة التقدمـــية الأمامـــية أو الارتدادية الإرجاعية في المواضع الأخرى ، وبهذا يكـــون ـــ لو فعل ـــ قد حقق الهدفين معا ، هدف الاختصار وعدم التوسعة وعـــدم الـــتكرار في الكتاب من جانب وهدف شمول توزيع المصطلحات أو العبارات الاصطلاحية على مواضعها المتعددة المظنونة من المستخدمين .

(٤)

ولقد فات المؤلف الإفادة من تراث المعاجم الاصطلاحية العامة التي وردت إليـــنا عن علمائنا القدامى والتي دونوا فيها شروحا لمصطلحات العلوم الإسلامية على تنوع مجالاتها المعرفية من مثل :

١- أبجد العلوم للقنوجي
٢- التعريفات ، للجرجاني
٣- التعريفات لابن كمال باشا
٤- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي
٥- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي
٦- الكليات لأبي البقاء الكوفي
٧- مفاتيح العلوم للخوارزمي .

وكلها مطبوعة متاحة باستثناء التعريفات لابن كمال باشا .

كمـــا فات المؤلف أن يفيد من عدد غير قليل من معاجم المصطلحات الحديثية أو مؤلفات علم مصطلح الحديث ، ككتاب الباعث الحثيث لابن كثير وشرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني وأمالي العراقي والسهيلي ومؤلفات الخطيب البغدادي وابن عساكر وكلها مطبوعة متداولة .

كمـــا أنـــه أغفل الرجوع إلى المعاجم الأصولية التي ضمت بطبيعة تكويـــن علم أصول الفقه عددا كبيرا من مصطلحات الحديث النبوي الشريف

ولا غــرابة في هذا لأن السنة هي المصدر الثاني من مصادر الاستنباط عند المسلمين وهو ما يعنى به علم أصول الفقه من مثل :

١ــ بيان كشف الألفاظ التي لابد للفقيه من معرفتها للأبذي المالكي المصري.

٢ــ الحــدود الدقــيقة والتعريفات الأنيقة للشيخ زكريا الأنصاري المصري الشافعي .

٣ــ الحدود في الأصول لأبي الوليد الباجي الأندلسي المالكي.

٤ــ الحدود في الأصول لابن فرحون المالكي .

٥ــ الحدود في الأصول لابن فورك

وكلها مطبوعة كذلك ومحققة.

ونحــن نؤمــن إيمانا أنه كلما اتسعت الدائرة التي يجمع منها محرر المعجــم مادتـــه زادت فرصته في الوقوع على مادة أكثر تلزم عمله وتثريه، ســواء كانــت هذه المادة في مقامنا هذا مصطلحات أو عبارات اصطلاحية حديثــية أساســية تمثل عماد المعجم أو كانت ألفاظا مساعدة كاشفة لدلالات المصطلحات الأمهات ولها علاقات تزيد هذه المصطلحات وضوحا .

وقــد كــان من آثار غياب هذه المصادر عن دائرة جمع مادة المعجم مجموعة من السلبيات ظهرت في تأليفه منها :

١- مجيء كثير من تعريفات المصطلحات أو شروح العبارات الاصطلاحية ناقصة ومعيبة وغير شاملة ولا وافية ولا واضحة في كثير من الأحيان .

ومــن أمــثلة عــدم الدقــة فــي شــرح عدد من المصطلحات أو العبارات الاصطلاحية الواردة في الكتاب ما يلي :

أ ــ ص/٥٤ (الحديــث القدســي : هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسنده إلى ربه عز وجل) .

وإذا وضــعنا هذا التعريف الذي جئنا به على سبيل المثال أمام تعريف الجرجانــي (علــي بن محمد بن علي الجرجاني توفي ٨١٦ هــ) في معجمه الاصــطلاحي العــام : (الــتعريفات)؛ أدركنا الفارق بين التعريفين وأدركنا الــنقص الذي أصاب تعريف قاموس المصطلحات الحديثية الذي نعرض له، يقول الجرجاني :

الـــتعريفات ص/١١٣ مصـــطلح ٥٥٠ (الحديـــث القدسي = هو من حيث المعـــنى مـــن عـــند الله تعالى ومن حيث اللفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو ما أخبر به الله تعالى نبيه بإلهام أو بالمنام فأخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل عليه لأن لفظه منزل أيضا)

ففـــي تعـــريف (الـــتعريفات) مزية تفوق تعريف قاموس مصطلحات الحديـــث النـــبوي ، ولا عـــبرة هنا بقصر تعريف الأخير ، لأنه قصر أخل بالشـــرح واعتبار الاختصار مزية كما يقرر علم المصطلح وارد عندما يفي التعريف بالمطلوب منه ويوضح المعنى من غير نقص ولا اضطراب .

ففـــي تعـــريف الجرجانـــي زيادة في بيان طريقة تنزله وهو الإلهام أو المـــنام وأن هـــذا التنزل ما هو إلا انقداح للمعنى في القلب والتصور وليس وحيا . أما اللفظ والعبارة فللنبي صلى الله عليه وسلم أو بعبارة نفسه كما قال الشيخ .

ـــ ومن الأمثلة كذلك التي تؤكد الأثر السلبي لغياب أمثال هذه المصادر في ظهور المصطلحات غير دقيقة ولا واضحة ما يلي .

ب ـــ ص/١٠٢ في تحريره لمصطلح : المتواتر قال القاموس : (المتواتر هو مـــا رواه جمـــع عن جمع إلى منتهاه ، تحيل العادة تواطؤهم على الكذب (و) منتهى خبرهم الحس).

والـــذي يراجع ما ساقه الجرجاني في معجمه : التعريفات في المدخلين اللذيـــن صنعهما للخبر المتواتر ص/١٣ مصطلح ٦٤٣ وللمتواتر ص/٢٥٦ مصـــطلح ١٢٧١ يجـــد زيادات تنحو بشرحيهما نحو الدقة والشمول من مثل زيـــادة : ثبوت الرواية والنص على كثرة الرواة وعدالتهم والنص على كفر من يجحد المتواتر وهي زيادات لم ترد في القاموس موضوع العرض .

٢ـــ ومن الآثار السلبية التي نجمت عن عدم الرجوع إلى أمثال هذه المصادر التي أشرنا إلى غيابها أن أخل المعجم بعدد كبير من المصطلحات والعبارات الحديثـــية ، لـــم تـــرد فيه ولم يعرف عنها المؤلف الفاضل شيئا وهاك بعض الأمثلة عليها :

أ ـــ **الإلهام** : **وهو من طريقَي تنزل الحديث القدسي** . وهو ما وقع في القلب مـــن علم، كما جاء في التعريفات ص/٥١ مصطلح ٢٠١ وهو ليس حجة في الاستنباط عند أهل السنة على خلاف الصوفية .

ب ـــ **الرســـالة**: وهـــي ما يبعث الله به الرسل من أحكام إلى الخلق (كما في التعريفات ص/١٤٧) .

ج ـــ **الرســـول** : (وانظـــر: النبي) : وهو من المصطلحات اللازمة هنا وإن كـــان مشـــتركا مـــع علـــوم كثـــيرة كالعقيدة وعلم الكلام وأصول الفقه وفي التعريفات ص/١٤٨ مصطلح ٧٢٩ (الرسول في اللغة هو الذي أمره المرسل بـــأداء الرسالة بالتسليم أو القبض. وفي الاصطلاح إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام) .

د ـــ **التدوين** : وهو كتابة الحديث النبوي ، وقد بدأ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح في الإجماع تدوين المروي بالمعنى .

هـــ ـــ **التقرير** : وتتبع أهميته من كونه أحد الأضلاع التي تكَوّن مفهوم السنة المطهـــرة وهو موافقة فعل الصحابي لما أمر به الله سبحانه وتعالى وتصديق الرســـول على ذلك ببيان بالعبارة أو سكوت موح بالإقرار . انظر التعريفات ص/٨٩ مصطلح ٤٠٨ .

و ـــ **التوهم** : وهو ما قد يصيب من شكوك في رواياتهم فيروي شيئا متخيلا أو فاهما خطأ أنه سمعه (وينظر: الغفلة) .

ز ـــ **الـــرؤية** : وهـــو مـــا يراه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أو في الصـــحو وهو أحد طرق تلقي الحديث القدسي وهو في التعريفات ص/١٥١ مصـــطلح ٧٤٦ (الرؤية: مشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا أو في الآخرة) وتوسعتها فيما قدمنا لمناسبة علم الحديث .

ح ـــ **الشرط** : هو ما يتوقف ثبوت الحكم عليه أو هو تعليق شيء بشيء كما في التعريفات ص/١٦٦ مصطلح ٨٢٢ وهو لازم في المصطلحات الحديثية لكثرة الكلام عن شروط الرواة ولا سيما البخاري ومسلم .

ط ــ الشــك : وهــو من العلل التي تقع للرواة فتنال من مروياتهم وهو في الــتعريفات ص/١٦٨ مصــطلح ٨٣٥ (الــتردد بيــن النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك (وراجع الظن).

ي ــ فعــل النبي صلى الله عليه وسلم : وهو ثاني الأضلاع المكونة لمفهوم الســنة المطهــرة ، وهــو ما يتلفظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليما وبيانا وإرشادا وبلاغا عن رب العزة سبحانه مفصلا أو موضحا أو مخصصا أو منشــئا حكمــا أو ناسخا ... إلخ . وهو في التعريفات ص/٢٣٠ مصطلح ١١٥٨ (اللفــظ المركب في القضية الملفوظة). وما قدمنا ألصق بعلم الحديث من غيره .

ك ــ لفظه صلى الله عليه وسلم : وهو ثالث الأضلاع الثلاثة المكونة لمفهوم الســنة النــبوية الكريمة ، وإن عري عن الإضافة فقد ينصرف إلى مرويات الــرواة أو نــص راو بعيــنه تحديــدا، كأن يقال في لفظ لمسلم ، أو في لفظ للبخاري أو اللفظ لفلان وراجع التعريفات ص/٢٤٧ مصطلح ١٢٢٥

ل ــ المســتند : وهــو الســند ، وقد ورد السند فقط في قاموس مصطلحات الحديث النبوي ص/٦٧ .

م ــ مُشْــكِل الحديــث : وهو من أكد المصطلحات التي يحتاج إليها دارسو الحديــث النبوي الشريف وهو ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل وطلب ، وهو الداخــل في أشكاله أي : في أمثاله وأشباهه . وراجع : التعريفات ص/٢٧٦ مصطلح ١٣٧٧

ن ــ المنفصــل منه : وهو من مصطلحات المحدثين يعنون به : ما سقط من الــرواة قــبل الوصــول إلى التابع . كما في التعريفات ص/٣٠١ مصطلح ١٥٠٤ .

وهــذه كلهــا مصطلحات أخلّ بها كتاب قاموس مصطلحات الحديث النبوي ، من جراء إهماله المصادر التي ذكرناها .

وقــد أطلنا في ذكر أمثلة لهذه المصطلحات الغائبة لنبرهن على مدى الــنقص الــذي شاب هذا الكتاب، وهذا من مراجعة معجم مصطلحات واحد

قديم، فما بالك لو اجتهد المؤلف واستقصى في مراجعة هذه المصادر أو تلك مما ذكرناه آنفا .

وهناك أمثلة أخرى نورد بعضها من دون شرح زيادة في تأكيد الأثر السـلبي لغـياب هذه المراجع عن المؤلف وهي : اختلاف الرواة، والجاحد، والصــحة، وظاهــر الصحة، وظاهر الضعف، وظاهر الوضع، والمستحب، والمكروه، والمندوب، والنبي، والوهم. وغير ذلك من مصطلحات لازمة هي من آكد ما يجب على المحدثين معرفته والإلمام به .

(٥)

ومــن جهة أخرى فقد أعتمد مؤلف القاموس طريقة واحدة في توثيق النقول التي أخذها من المصادر التي رجع إليها وأثبتها في الصفحة الثالثة من مقدمــته ، وهي تتلخص في ذكر اسم المرجع بين معكوفين عقب نقله شرح المصــطلح وهــذا هو الغالب على طريقة توثيقه ، وأحيانا ما يذكر اسم واحد مــن العلمــاء بين هذين المعكوفين ممن قدم أسماءهم في الصفحة الثانية من مقدمته ،

وقــد وقــع في عدد من الأخطاء على الرغم من يسر هذه الطريقة وســذاجتها ، نبيــنها في التعليق على الأمثلة التي نذكرها. ومن الأمثلة التي توضح طريقته تلك ما يلي :

ـ ص/١٢٠-١٢١ (المعاجم = جمع معجم : وهي في اصطلاح المحدثين : الكــتاب الذي ترتب فيه الأحاديث على مسانيد الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غــير ذلك ، والغالب أن يكون ترتيب الأسماء فيه على حروف المعجم) [الرسالة].

ومعــنى كــون الرســالة بيــن معكوفين أن هذا الكلام معزو إليها . والعجيب أن كتاب الرسالة وهو كتاب أصولي ألفه الإمام الشافعي لم يرد في قائمة مصادر المؤلف.

وهو في توثيق المصطلحات وشروحها بدا حريصا على أن يذكر اسم الكــتاب الــذي نقل منه ، كما مر بك ورأيت ، لكنه قليلا ما كان يخالف تلك

الطـريقة ويتركها ليذكر اسم المؤلف لا الكتاب ، وهو واضح مثلا في شرحه مصـطلح : (المفصل ص/١٢١) حيث عزاه إلى النووي وهو يقصد بطبيعة الحـال كـتابه التقريـب . ومـثل ذلك فعله في مصطلح : المناولة مقرونة بالإجـازة فـي باب الميم، حيث عزاه إلى ابن الصلاح في مقدمته في علوم الحديـث. ومـثل ذلك فعله في مصطلح: الرواية بالمعنى ص ٦٢ ؛ ٦٧ . ومثل ذلك فعله في مصطلح السابق واللاحق ٦٥ ، حيث عزاه إلى البلقيني .

والأمـر مـع هـؤلاء الأئمة يسير لأن قائمة المصادر التي صنعها ضـمت كـتابا واحدا لكل منهم ، لكن الأمر يصبح ملبسا ومثيرا للاضطراب والحـيرة عـندما يتعلق الأمر بعزو المصطلح إلى عالم أو إمام له أكثر من كـتاب فـي القائمة ، فذكر اسمه فقط في هذه الحالة من دون إقرانه بعنوان كتابه ، يوقع في اللبس والاضطراب وتضييع الوقت أمام من يريد عرض ما قـرأه علـى مصـدره الذي أخذ منه ، فالمؤلف في شرحه لمصطلح الحديث يقول:

ص/٥٣ (الحديـث لغـة = ضد القديم) [التدريب] . وليس في هذا العزو شيء (واصطلاحا : ما يضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم) [ابن حجر]

ولا نـدري أي كـتاب لابـن حجر العسقلاني نقل عنه ، فقد احتوت قائمـة مصادر المؤلف على كتابين هما: نخبة الفكر ، وتقريب التهذيب . ولا يقـال إنه في النخبة لأنه هو المعني بالمصطلحات والتقريب معني بالترجمة للأعـلام ، لأن المكتبة العربية علمتنا أنها متداخلة المعارف ، لا تعترف بما يسمى الآن التخصص الدقيق ، ولأن الثقافة الإسلامية متشابكة الأغصان وما الـذي يمـنع أن يرد تعريف بمصطلح حديثي في كتاب يترجم لرواة الحديث ورجاله .

وقـد فعل ذلك مع ابن حجر أكثر من مرة في مثل : حسن لذاته ص/ ٥٥ ؛ والحسن ص/٥٤ والخبر ص/٥٦ وخف الضبط ص/٥٧ .

وقريـب من هذا فعله مع بدر الدين الطيبي ص/٥٣ وليس له كتاب مذكور في القائمة .

ومـــثل ذلك فعله في عبارة : على شرطهما ص/٨٢ حيث عزاها إلى العراقي وليس له كتاب مذكور في المقدمة .

ومثل ذلك فعله في شرح مصطلح : التابعي ص/٣٦ حيث عزاه إلى الخطيــب البغدادي وليس له ذكر في قائمة المؤلفين ، ولا له كتاب في قائمة مصادره . ومرة أخرى يفعل ذلك في: زيادة الثقة ص/٦٣ وسمعت فلانا .

(٦)

وقــد خلا المعجم من أي فهارس فنية على الرغم من حاجته إلى ذلك ولا سيما فهارس الأعلام أو الكتب او المصطلحات أو العبارات الاصطلاحية أو الأماكن أو الأقوال والأخبار .

وقــد كــنا نــود من المؤلف أن يرقم مصطلحات المعجم أو عباراته الاصــطلاحية وأن يذكــر فــي توثيقه أرقام الأجزاء والصفحات للكتب التي اســتخدمها ولا يــتركها كما فعل غفلا عارية من ذكر المواضع ومنها كتب تتكون من أكثر من مجلد كالتدريب للنووي ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وهو لازم لو حكّمنا أحد هدفيه المعلنين في مقدمته وهو هدف التيسير على الباحثين .

كما أن المؤلف أخطأ حين سمى كتابه قاموس ... ؛ لأن القاموس هو الــبحر والــذي دعاه إلى ذلك اشتهار هذه التسمية من لدن صارت علما على واحــد مــن أشهر المعاجم اللغوية العربية العامة وهو القاموس المحيط لمجد الديــن الفيروزابادي فنسي معناه الذي أخبرتك به وتطور عن طريق التعميم ليصير علما على أي معجم والصواب أن يسميه معجم مصطلحات الحديث أو كتاب مصطلحات الحديث .

(٧)

غــير أن حسنة يجب أن تذكر لصاحب هذا الكتاب وطابعه وهي من الأمــور التي يدعو إليها علماء صناعة المعجم الحديث ، ألا وهي التمييز بين المداخــل بلــون حــبر مخالف لدرجة لون لغة الشرح وبحجم طباعي (بنط) مخــالف لحجم طباعة حروف لغة الشرح ، حيث وضع الطابع المداخل أو

المصـــطلحات والعبارات الاصطلاحية في مستطيل طويل مظلل على جانب الصـــفحة يميـــنا وقد كتبت بحبر أكثر قتامة من لون حبر لغة الشرح وبحجم طباعي أكبر من حجم طباعة حروف لغة الشرح .

وبعـــد فهـــذا عرض نقدي لمعجم قاموس مصطلحات الحديث النبوي (الشـــريف) هـــدف إلـــى بيان منهجه وكيف بناه مؤلفه وبيان مصادره وبيان العـــيوب التي وقع فيها والنقص الذي شابه ، وهو أبدا لا يهدف إلى الانتقاص من جهد صاحبه وإنما يهدف إلى تقويمه وتصحيح ما عساه يكون قد وقع فيه من أخطاء وأوهام واضطراب ونقص.

وهـــذا العرض النقدي الذي قدمناه لهذا المعجم كان دافعنا إليه شرف موضـــوعه وقيمـــته فالمجتمع العلمي في حاجة ماسة إلى أمثال هذه المعاجم الاصـــطلاحية الخاصة أيا ما كان مجالها المعرفي ، وتزداد الحاجة كلما كان المجال المعرفي قريبا من العلوم الشرعية المعينة على تفهم كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى فهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه من وراء القصد .

المراجع

ـ تراث المعاجم الفقهية في العربية ، دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية للدكتور خالد فهمي ، مكتبة إيتراك بالقاهرة ٢٠٠٣م

ـ التعريفات للجرجاني ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري ، دار الريان القاهرة ١٩٩١ م

ـ صناعة المعجم الحديث للدكتور أحمد مختار عمر مكتبة عالم الكتاب بالقاهرة ١٩٩٨ م

ـ علم اللغة وصناعة المعاجم للدكتور علي قاسم ، الرياض ٢٠٠٠ م

ـ قاموس مصطلحات الحديث النبوي، للأستاذ محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة بالقاهرة ١٩٩٦ م

ـ المسند للإمام أحمد ، تحقيق الأستاذ الأرناءوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠ م

ـ المعاجم اللغوية، للدكتور محمد أحمد أبو الفرج ، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦ م

ـ مقدمة في فقه اللغة ، للدكتور محمد أبو الفتوح ، مكتبة النهضة العربية ببيروت سنة ١٩٦١ م

ـ منهاج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ١٩٨٦ م .

هدم الصنم

حول منهج لتقييم النظريات المعرفية الوافدة

في العلوم الإنسانية

كوكبية اللغة : نموذجًا

هدم الصنم

حول منهج لتقييم النظريات المعرفية الوافدة

في العلوم الإنسانية

كوكبية اللغة : نموذجًا

إن أيسر وصف لخصائص المناهج عند العلماء المسلمين في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية أنها مناهج تقوم على طلب الدليل . وما الحديث عن أدلة الأحكام ، ومصادر الاستنباط عند الأصوليين ، ومصادر الاحتجاج عند اللغويين وغيرهم من علماء العرب والإسلام قديمًا إلا علامة على تلك الحقيقة التي نقررها الآن .

وفي هذه الحقيقة الأولية التي رددتك إليها الآن ما يؤكد مشروعية بحثنا هذا ، ولاسيما أن لكل أمة هويتها وثقافتها التي تنتمي إليها.

والأمة الإسلامية أمة يحكمها تصور عقدي وأخلاقي خاص متميز من غيره ، يحكم مسيرة حياتها كلها ، ومن أجل ذلك رأينا ضرورة فحص كل دعوى تأتينا من خارج نطاق الثقافة العربية الإسلامية ، وهذه الضرورة عقدية من جانب ، ومعرفية من جانب آخر للحفاظ على ثوابت الأمة ، وتاريخ الحضارة العربية في ظل الإسلام تاريخ طويل للنوافذ المفتوحة عبر تاريخها كله ، بمعنى أن في نصوصها الحاكمة (قرآنًا وسنة) ما يأمر بالأخذ عن الآخر ، مع مراعاة طبيعة الحق الذي نؤمن به ونعتقده .

وفي تاريخ حضارتنا أدلة دامغة على هذا الانفتاح على الآخر ، والإفادة من إنتاجه العلمي . ومراجعة إنتاج القرن الرابع الهجري تحديدًا ؛ قرن الحضارة الإسلامية — في مجال ترجمة علوم الثقافات الأخرى الإغريقية ، والسريانية ، والفارسية (وهي وثنية أو كتابية) — تصدق هذه الدعوى التي نقول بها ونقررها (انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم ميتز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة، مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٢م)

وفـــي هــذا السياق يصح الاستشهاد بحديث ــ النبي صلى الله عليه وســلم ــ الذي أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (كتاب الزهد ، باب الحكمة ٤٢٠/٢ حديــث رقم ٤٢٢١ من طبعة الدكتور محمد مصطفى الأعظمي رحمه الله طبعة وزارة المعـــارف السعودية ، الرياض ١٩٩٠م) ولفظه فيه: " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها " .

وقـــد كان الترمذي رحمه الله فطنًا عندما أورد الحديث الشريف تحت كـــتاب ترجمه بكتاب : (العلم) ، وهو استنباط نرمي إليه هنا ، تقول رواية الترمذي : (الجامع الصحيح ، كتاب العلم ، باب الفقيه أشد على الشيطان من العابد ٥/ ٤٩ حديث رقم ٢٦٨٧ من طبعة دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ ؛ و ٣٢٩/٧ حديث رقم ٢٦٨٨ مـــن طـــبعة عـــزت عبـــيد الدعاس ، استانبول ، تركيا بدون تاريخ): " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها ".

وفـــيما ســـقناه الآن من أدلة على قبول الفكر العربي الإسلامي قديمًا للآخـــر من التاريخ ، والنصوص معًا ــ ما يكذب دعوى (جيرار لوكلير) فـــي كتاب (العولمة الثقافية : الحضارات البشرية على محك التجربة) (انظر : عـــرض الأســـتاذ هاشـــم صالح للكتاب في صحيفة الشرق الأوسط اللندنية العدد الصادر بـــتاريخ الأحـــد ٤/مـــايو /٢٠٠٣م) عندما أراد أن ينتصف للحداثة الأوروبية في مواجهـــة العولمة الأميريكية ، التي وصفها بأنها لا تقبل التعددية على عكس حضارة الإسلام (والكلام لجيرار لوكلير) التي لم تكن تقبل التعددية !

وهو زعم ساقط على الأقل لما مر بك الآن.

ونحـــن نرى أن المنهج المقترح لتقويم النظريات المعرفية الوافدة من خـــارج الدائـــرة العربـــية والإسلامية في العلوم الإنسانية ، يجب أن يتضمن المعايير والضوابط الحاكمة التالية:

- أولاً ــ أن تكون النظرية المعرفية الوافدة غير متصادمة مع المرجعـــية العلـــيا للأمة ، وهي المتمثلة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة الصحيحة.
- ثانـــيا ــ أن تكـــون النظرية المعرفية الوافدة مقترنة بالدليل الذي يؤسس لشرعيتها ، عقليًا ومنطقيًا ، وتاريخيًا .

- ثالثًا ـــ أن تسلم النظرية المعرفية الوافدة من المطاعن القاتلة عـــند خضـــوعها للـــنقد ؛ نقدًا خارجيًّا أو ظاهريًّا ، وداخليًّا باطنـــيًّا ، كمـــا يقـــول علماء النقد التاريخي في الغرب ، أو ســـندًا، ومتنًا وموضوعًا بلغة علماء الرجال المسلمين ، وأن تسلم من التناقض ، وأن تكون قادرة على مواجهة الانتقادات المؤثرة .
- رابعًـــا ـــ أن تكون النظرية المعرفية الوافدة مما ينبني عليها عمل ، أو فائدة ، أو اعتقاد .
- خامسًا ـــ أن تكون النظرية المعرفية الوافدة إنسانية الغرض والهدف.

وفـــي الصـــفحات التالـــية تفسير لهذه المرتكزات الخمس يعين على توضيحها ، وبيان المقصود منها ثم يتلوها تطبيق عملي يوظفها جميعًا ، نرد به دعوى اللغوي الإنجليزي الشهير المعاصر الدكتور دافيد كريستال ـــ حول كوكبـــية اللغـــة الإنجلـــيزية. وهي الدعوى التي حاول أن يبشر بها العلماني الدكتور مراد وهبة ، الأستاذ بجامعة عين شمس .

أولاً

شرط عدم تصادم النظرية المعرفية الوافدة مع مرجعية الأمة الإسلامية

مـــن العـــبارات الســـعيدة التي استخدمها المنظر الإسلامي المعاصر الدكـــتور يوســـف القرضـــاوي قوله : (المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والســـنة) . وهي العبارة التي جعلها عنوانًا لأحد مؤلفاته (طبعة مكتبة وهبة ، بالقاهرة سنة ١٩٩٧م)

والعـــبارة ــ بَعْــدُ ــ تلخص موقفنا من هذا المرتكز تلخيصًا جيدًا ؛ ذلـــك أننا نؤمن إيمانًا قاطعًا في هذا الباب أن القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشـــريفة معـــا ــ حاكم على كل سياقات ثقافتنا ، أو هما شيء واحد مهيمن عليها ، على حد تعبير النص القرآني الكريم نفسه ، يقول رب العزة سبحانه: ﴿ وأنزلـــنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بمـــا أنـــزل الله ﴾ [سورة المائدة ٤٨/٥] ، ويفسرها القرطبي رحمه الله (تفسير القرطبـــي ١٩٨/٦) قائلاً " الخطاب لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والكتاب القـــرآن . بـــالحق ؛ أي : هـــو الأمـــر بالحق ... مهيمنًا عليه ؛ أي : عاليًا ومرتفعًا ".

ومـــن المعانـــي التـــي أوردها المفسرون حول الهيمنة المحكوم بها للقـــرآن الكريم : أنه شاهد على غيره وأمين على ما سواه ، وأنه ــ على حد تعبـــير الزمخشـــري (في تفسيره الكشاف ٣٤٢/١) : "***رقيب على سائر الكتب*** ؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ". [التأكيد من عندي]

ومـــن المهم هنا أن نلتفت إلى التعبير العزيز : ﴿ مهيمنا ﴾ الذي جاء علـــى صـــيغة التنكير ، وفي التنكير من الدلالة على العموم والشمول ما هو معروف مقرر في قواعد اللغة العربية.

كما أنه من المهم أن نلتفت إلى القاعدة الكبرى التي عليها المعول في أصـــول التفســـير ، وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ ففي ضوء هاتين النقطتين يمكن توسيع النص دلاليًا ليقوم دليلاً على ما نرمي إليه

مـــن كون القرآن الكريم وحاشيته الكبرى السنة المطهرة ، يمثلان المرجعية العلـــيا لتـــي ينبغي أن تُحاكم إليها أي نظرية معرفية وافدة ، وفي هذا السياق يقرر ابن رشد في كتابه المهم : (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصـــال) (تحقـيق الدكتور محمد عمارة ، طبعة دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب بالقاهــرة ١٩٨٣م ، ص ٣٢) أن موقــف الإســلام هــو قبول أي فكر وافد ثم عرضـــه علـــى نصوص الشرع فما وافقها قبلناه ، وشكرنا أهله عليه ، وما خالفها أخذناه ورددنا عليه ، وقومنا ما فيه من انحراف ثم نبهنا عليه .

وفـــي هـــذا السياق كذلك يصح الاستشهاد بعدد من القضايا المعرفية الوافـدة التي تصادم نصوص هذه المرجعية العليا من جانب وتصادم القواعد المقررة في شرعنا روحًا من جانب آخر.

وهذه الأمثلة توضيح عاجل ريثما ننتقل إلى الجزء التطبيقي من بحثنا هذا ، والمتعلق بنقص نظرية كوكبية اللغة .

وسنكتفي هنا بعدد من الأمثلة الشائعة في الأوساط العلمية في البلدان العربـــية ولاسيما في مناهج التعليم ، ونبين سريعًا تصادمها مع نصوص هذه المرجعية العليا ، وروحها .

(أ)

من الشائع في مقررات علم الاجتماع أن المدرسة الفرنسية الوضعية ولاســيما علـــى يد مؤسسها : (إميل دوركايم) ترى أن التوحيد (أو معرفة الإله الواحد) مرحلة متطورة في تاريخ الفكر الإنساني ، وأن البشرية مرت بمـــراحل تدينـــية مختلفة أقل منها تطورًا ورقيًا ، من الشرك وعبادة الأوثان والأســـاطير ومجمع الآلهة حتى وصلت إلى مرحلة التجريد العقلي الخالص الذي قادها إلى الحديث عن الإله الواحد . (راجع كتاب علم الاجتماع المقرر على الصـــف الثانـــي الثانوي العام بمصر طبعة سنة ١٩٨٦م) وهذه النظرية الاجتماعية المعرفية تصادم المرجعية العليا في الإسلام في أكثر من جانب :

١. إن الـــنص القرآنـــي الكريم يقول : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ [سورة البقرة ٢/٣٧]

ومـــن الجدير بالذكر هنا أن نقرر أن (الفاء) التي افتتحت بها الآية الكريمة عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب ؛ أي عدم التراخي الزمني ، وهذه الكلمات التي هي الهدي الرباني ، أعقبت النزول على الأرض.

والـــتوبة المذكـــورة هنا في الآية ليست من كفر ، وإنما من معصية أزل آدمَ ، وحواءَ الشيطانُ عن الشجرة التي حرمت عليهما.

أي أن الحـــياة الإنسانية الأولى كما تصورها قصة آدم وحواء مرت بمرحلتين :

الأولـــى ــ فـــي الجنة ، في نعيم ورغد ، يعرفان فيه ربهما ، ثم معصية وحكم بالخروج من الجنة .

والثانية ــ على الأرض ــ صاحبها كذلك أمران :

الأول ــ عــداوة بين الإنسان والشيطان : ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [سورة البقرة ٢/٣٦]

والثانـــي ــ هدْيٌ إلهي تلقاه آدم ، أو تلقى هو آدم ، وسار على دربه تائبًا طائعًا . ومما يدل على أسبقية التوحيد والهدى ، وأنه مرحلة أولى أعقبها الانحراف ما يقوله القرطبي [في تفسيره ١/٣٦٣] أنه لما عصى آدم ربه ، والمعصية تالية لإيمان ، ومعرفة ، وأحكام ونواه ــ تاب فقبل الله توبته : " ولـــم يكـــن إخراج الله تعالى آدمَ من الجنة ، وإهباطُه منها .... (إلا) بعد أن تاب عليه وقبل توبته ".

٢. إن هـــذه الـــنظرية المعرفية الوافدة تصادم ما عرف عن الله سبحانه وتعالى من عدل مطلق ، ودلالة لخلقه على الخير ، وليس من العدل، ولا من الرحمة ، أن يخلق الله البشر ثم يتركهم ، يخبطون على غير هدى أزمنة طويلة حتى يهتدوا إليه سبحانه بعقولهم !

أضـــف إلـــى ذلك أن كل مراحل التدين (غير التوحيدي) من عبادة أوثـــان، وإشراك ، وطواطم ، وتابو ، ومجمع الآلهة في التصورين اليوناني الإغريقـــي ، والرومانـــي وغيرهما ــ هي بحكم التصور الإسلامي للتاريخ مـــراحل انحـــراف عن عبادة الله وحده بشكل أو بآخر ؛ أي أن الله أولاً ، ثم

يقـــع الانحـــراف عـــن تصـــور وحدانيته ثانيًا إلى صور أخرى تحت أسماء ومسوغات مختلفة.

(ب)

مـــع الهجمة الشرسة للاستعمار على ديار الشرق العربي والإسلامي فـــي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (قرني الحتميات العلمية) بشّر كثير من علماء الغرب بتفوق الجنس الأبيض ، خدمة لهذه الحملات الاستعمارية ، لتلقى ترحيبًا في البلدان التي تحتلها ، وحتى لا يقاومها أبناؤها .

وحاولوا بهذه الفكرة أن يسوغوا هذا الاستعمار من طرف خفي . وقد كانـــت هـــذه الفكـــرة العنصـــرية مسوغًا يقال في تسويغ كثير من الظواهر المعرفـــية التـــي ظهـــرت في الغرب ، وتأخر ظهورها في الشرق ، فظهور المســـرح في الثقافة الغربية راجع في رأي تاريخ الأجناس الأدبية الذي كتبه المؤلفـــون الغربيـــيون إلى تفوق الجنس الأبيض ، وتميزه ، وقدرته الخيالية ، الأمر الذي لا يتمتع به العقل الشرقي .

وحاولـــت مدرسة الحتمية الجغرافية أن ترجع تخلف البلدان العربية والإسلامية إلى مناخها الحار الذي يهدر الوقت في نوم القيلولة ، ويعمل على انتشـــار الأمـــراض والأوبـــئة ، متناسية هذه المدرسة أن هذه البيئات الحارة كانت في يوم من الأيام (في العصور الوسطى في الغرب) هي سيدة الدنيا، فـــي ظل هذا المناخ الحار نفسه . وكانت أوربا المنتمية إلى الأقاليم المناخية الباردة غارقة إلى أذنيها في جهلها ، وتخلفها وأوبئتها !

كـــل هذا يتعارض مبدئيًا مع ما يقرره رب العزة سبحانه من أن أمر الحـــياة قـــائم علـــى السعي في الحياة ، والعمل وفق قوانين كونية لا تتخلف لأحد .

وهـــذا كله معارض كذلك لمبدأ المساواة بين الخلق الذي أقره الشرع الحنـــيف ، بيـــن الأســـود والأبيض ، وهذا الطباق للاستغراق ؛ أي لشمول الجـــنس البشري كله على ما هو مقرر في قواعد اللغة ، والمسألة كلها عمل واجتهاد بدليل قوله تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [ســـورة التين

٤/٩٥] . والألف واللام في الإنسان للجنس ؛ أي : خلقنا الجنس الإنساني في أحســـن تقويم موفور التمتع بأعضائه ، عقله ، وقلبه ، وذراعه ، وأصابعه ، وأرجله ، وهيئته ! (راجع : تفسير القرطبي ١٠٥/٢٠)

ثانيًا

ضرورة اقتران النظرية المعرفية الوافدة بالأدلة المختلفة عقليًّا ومنطقيًّا وتاريخيًّا

مـــن الشروط المقررة في علم المناهج (Methodology) أن تقوم النظرية المعرفية الوافدة ؛ أي نظرية معرفية ، على بناء محكم يستند إلى كل دلـــيل يرى فيه مقوما من مقومات تكاملها وانسجامها مع المنطق ، والعقل ، والـــتاريخ العلمـــي. وهـــو مـــا يتطلب من المؤلف الاحتشاد الكامل للنظرية المعرفية التي ينادي بها ، وأن يخضعها لمقولات المواجهة النقدية. ولا ضير مـــن أن يذيعها في طبعة تجريبية يتلقى بعدها المعارضات ، والانتقادات التي تبغـــي تقويم النظرية التي يتبنى الدعوة إليها فيما يعرف بدور حلقات النقاش (Seminars) في هذا الميدان .

(أ)

ولـــو ضربنا مثلاً مؤقتًا ريثما نعود إلى نظرية كوكبية اللغة ؛ الجزء التطبيقـــي مـــن عملنا هذا ـــ بنظرية الحتمية الجغرافية التي خالفت نصوص المرجعـــية العلـــيا في الإسلام من جانب . وحاولنا أن نخضعها لهذا المرتكز الثاني ، لاتضح تهافتها .

ومـــن المعلوم أن هذه النظرية التي تعزو التخلف الموجود في البلدان العربية والإسلامية والإفريقية إلى وقوعها في نطاق الأقاليم المناخية الحارة ، وأن هذا المناخ القاسي هو المسئول عن تخلفها وتحديد نمط اقتصادها ؛ كانت قـــد ظهـــرت وصارت في ركاب العصر الاستعماري الغربي العسكري لهذه الـــبلدان. ومجمـــل النظرية يقرر أن تخلف البلدان ذات المناخ الحار راجع إلى :

١. إهدار ساعات كثيرة بسبب القيلولة .
٢. الاستســـلام للاســـتبداد ؛ نظرًا للخضوع لهذا البيئات المناخية القاسية (راجـــع ؛ هـــل هناك علاقة بين البيئة المناخية والتخلف ؛ للدكتور حسن إلياس

محمد ، مجلة مركز البحوث كلية المعلمين ، بيشة ، السعودية العدد الثالث لسنة ١٤٢٣ هـ . وهو لم يرد عليها أو ينقضها)

ونسيت هذه المدرسة ما يلي :

١. أن كثيراً من البلدان المنتمية للأقاليم المناخية الحارة والقاسية كانت في عصور تاريخية (في إطار العصر الجيولوجي والمناخي الواحد) أكثر تقدمًا ورقيًا وحضارة ؛ والشواهد التاريخية من حضارات مصر والنوبة والمكسيك وبلاد الرافدين وغيرها دليل قاطع ودامغ في هذا الباب .

في حين أن التاريخ يشهد أن الدول المنتمية للأقاليم المناخية الباردة والمعتدلة عاشت ظروفًا حضارية متدنية في عصور أوربا الوسيطة وحتى الآن ، ولاسيما في الجانب الأوربي من آسيا ، وبعض بلدان أوربا (المسلمة والشرقية) من مثل : ألبانيا ، والمجر (راجع ما كتبه الأمير أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار عن تجاربه التي يحكيها من خلال احتكاكه بالصليبيين في حملاتهم على الشام والقدس ، طبعة فيليب حتي ، مصورة مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٠م).

٢. من جانب آخر فإن اتهام الشعوب التي تعيش في أقاليم حارة بأنها خاضعة مستسلمة للاستبداد من أثر المناخ القاسي ـ إغفال لحقائق تاريخية تشهد بخضوع شعوب أوربا المنتمية للأقاليم المناخية الباردة إبان العصر الإقطاعي ـ لما هو أسوأ من الاستسلام للاستبداد ؛ فقد كانت عبودية تامة مطلقة ، وامتلاكاً مهيناً ؛ إذ كان الإقطاعي يملك الأرض ومن عليها ممن يخدمونها من رجال ونساء وأطفال وحيوان. وتاريخ الثورات في أوربا ولاسيما الثورة الفرنسية التي جاءت بعد مئات السنين من الخضوع للاستبداد في ظل الملكية الطاغية الإقطاع الظالم شاهد على ذلك .

ولماذا تنسى نظرية الحتمية الجغرافية تاريخ المقاومة الطويل ضد حركات الاستعمار في البلدان العربية والإسلامية والإفريقية المنتمية لتلك الأقاليم المناخية الحارة القاسية في مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب واليمن وعمان والسودان وتشاد .. إلخ .

ثـم لمـــاذا لـــم تلتفــت هـــذه الـــنظرية الجغرافية إلى هذه الثورات والانقلابـــات الشـــعبية والمســـلحة ضد كثير من أوجه الاستبداد في هذه البلدان الحارة المتهمة بالخنوع والخضوع للاستبداد إلى يوم الناس هذا .

٣. ثم أن الحديث عن إهدار ساعات من ساعات العمل في وقت القيلولة الـــتفات إلـــى جانب واحد من جوانب القضية ؛ وهو الوقت الضائع ظاهـــريًا وإهمال لجوانب أخرى منه : أن هذا النوم فرصة لاستعادة النشاط مرة أخرى على ما هو معروف من أثر النوم في إعادة شحن كهرباء الدماغ ، وتمتع الإنسان بالحيوية ؛ ثم لماذا لا ينظر أصحاب نظـــرية الحتمية إلى ما يحدثه البرد الشديد وسقوط الثلوج من إعاقة للعمـــل وللحـــركة الإنسانية في أوجه النشاط الإنساني عمومًا ، ولما تحدثـــه مـــن تدمير للبنية التحتية من هدم للجسور ، وإتلاف الطرق وقلع للأشجار ، وقطع للاتصالات ، وهدم للمنازل مما يتكلف تكاليف باهظة لإعادة إعمارها مرة أخرى .

ثـم لمـــاذا لا يـــنظر إلـــى مـــا يحدثه البرد الشديد وسقوط الثلوج ، والضباب ، وغلبة الظلمة على ساعات اليوم من إهدار الطاقة واستمرار الإنـــارة لفترات زمنية طويلة ، وهو ما جعل الغرب البارد أكثر استهلاكًا للوقود من غيره بسبب من هذا المناخ .

إن قـــراءة نظـــرية الحتمية الجغرافية التي ظهرت في ركاب القرنين الاســـتعماريين الثامن عشر والتاسع عشر ، في غيبة هذه المراجعات النقدية التاريخـــية والعقلـــية والمنطقـــية قاضٍ بهزيمة شعوب البلدان الحارة نفسيًا ، واستســـلامها للاحـــتلال بحكـــم كونهـــا متخلفة بطبيعتها ومفطورة على هذا الـــتخلف. وهذا الاحتلال لها من جانب البلدان الباردة فرصة ذهبية لتحديثها ، والارتقاء بها !

وهـــو الأمـــر الـــذي بـــدأ يعـــود مرة أخرى مواكبًا لموجة العولمة الأمريكـــية، إذ أصـــدر الأميركـــي : دافـــيد لاندس أستاذ الاقتصاد بجامعة هارفـــارد ســـنة ١٩٩٨م بمشاركة الجغرافي الأميركي أبلسورت هانتنجتون

كـــتابًا عنوانه : (ثراء الأمم وفقرها . لماذا بعض الدول غنية جدًا ، وبعضها فقير جدًا ؟) .

وقـــد حـــاول فيه إحياء النظرية القديمة مرة أخرى تبشيرًا بعلو كعب الـــثقافة (الـــباردة) لأميريكا التي ينتمي إليها ، حتى تقبل الدنيا على العولمة الأميريكية ، وتخضع لها ، ولا تقاومها ، طالما أنها حتمية .

ثالثًا

ضرورة خضوع النظرية المعرفية الوافدة للنقد الداخلي والنقد الخارجي

عرفـــت الحضـــارة الإسلامية علمًا جليلاً هو علم الجرح والتعديل ، قصـــد به واضعوه إلى معرفة حال الرجال من رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو ما عرفته أوربا تحت اسم آخر غير مصطلح نقد السند وهـــو مصـــطلح النقد الخارجي أو الظاهري ، كما جاء في كتاب بول ماس علـــى وجه التحديد) (وهو الكتاب الذى ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوي رحمه الله بعنوان : النقد التاريخي مع كتب أخرى في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه ونشرته وكالة المطبوعات بالكويت سنة ١٩٨٠م) .

كمـــا عرفـــت الحضارة الإسلامية نوعًا آخر من نقد النصوص سمته نقـــد المتـــن أو الموضوع وهو ما سمته الثقافة الغربية بالنقد الداخلي أو النقد الباطني .

وما نحب أن نشير إليه هنا هو أن أي نظرية معرفية وافدة ، أو غير وافـــدة ينبغـــي التثـــبث فيها أولاً من حال القائل بها ؛ والمبشر بمقولاتها ، والـــنظر إلـــى غرضـــه من ورائها من جانب سلامتها من التناقض الداخلي منطقـــيًا ومعرفـــيًا مع حقائق العلم المختلفة ، وأن تسلم من المطاعن القاتلة ، كما مر بك بعضها .

كما ينبغي أن تكون قادرة على مواجهة الانتقادات المؤثرة والسؤالات المحرجة على ما مر بك في مناقشة المرتكز الثاني قريبًا .

ويقـــترح هــذا المرتكـــز اعتمادًا على أصول نقد السند عند القدماء وأصول النقد الخارجي والظاهري عن المعاصرين مع بعض التعديل ما يلي:

١. عـــدم إهمـــال الـــتربة الفكرية (الأيديولوجية) التي أنتجت النظرية المعرفية الوافدة ، وتحديد موقفها الفكري من الإسلام والإنسان .
٢. النظر إلى الكتابات الغربية الوافدة نظرة اتهام في الأساس حتى تثبت بــراءتها ، معتمديـــن في ذلك على حقيقة تقول إن كثيرًا من كتابات الاستشراق الغربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين لــم تكــن بريـــئة ، ولا نــزيهة ، بل كانت طلائع لحركات التنصير والاستعمار العسكري.

وفـــي المقابل علينا أن ننظر إلى كتابات الغربيين في أوربا وأميريكا في إطار أنها طلائع للحداثة الأوربية ، والعولمة الأميريكية ، على ما مر بك من أمر دافيد لاندس ، وأبلسورد هانتنتجون الأميريكيين .

وعليـــنا أن نتبيـــن خطـــورة ما يمكن أن يترتب عليه الأمر لو قبلنا نظـــريات معرفـــية وافـــدة مـــن غير أن يخضع القائلون بها لمنهج تعديلي وتجريحي وتوثيقي .

وفـــي هـــذا السياق يمكننا أن نعيد قراءة قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمـــنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلـــتم نادميـــن ﴾ [ســورة الحجرات ٦/٤٩] وفي قراءة لاثنين من السبعة هما حمـــزة والكســـائي : ﴿ فتثبتوا ﴾ في آية الحجرات ومرتين في سورة النساء ٩٤/٤ وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول القرطبي (تفسير القرطبي ٢٦٥/١٦) : " في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد ***إن كـــان عدلاً*** ؛ لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق . ***ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعًا*** لأن الخبر أمانة ، والفسق قرينة يبطلها ".

وفي هذا التفسير نقاط مهمة ، وهي متعلقة بالمسلم الذي ثبت فسقه ، فمـــا بـــالك بالأوربي ، أو الأميريكي اللذين قام الدليل على كراهيتهما للثقافة العربية والإسلامية ، أو قل قامت الشبهة على أنهما طلائع للحداثة الأوربية ، والعولمة الأميريكية ، والخصومة مسقطة للشهادة في العصر الواحد .

فلابــد إذا من التثبت من نزاهة (أو العدل في نص القرطبي) صاحب الــنظرية المعرفــية الوافدة ، وبراءته من شبهة خدمة الاستعمار وأغراض الاســتعمار أو الحداثة أو العولمة ، أو الصهيونية المسيحية والقاعدة في هذا المجال أن المتهم مدان حتى تثبت براءته .

ولا يصــح ثم لا يجوز حصر رد ما جاء به الفاسق في الأخبار فقط كما جاء في نص القرطبي السابق ، بل علينا التوسع في رد الأخبار وفي رد غــير الأخــبار ممــا لم يوثق ، ومعتمدنا في هذا هو أن الأخبار والنظريات المعرفــية والبــيانات والإحصاءات الوافدة سواءٌ بسواء ، لا فرق بين واحدة وأخــتها لأنه إن كانت الأخبار أمانة على حد تعبير القرطبي ، فإن العلم أمانة أغلــظ ، لــن الخبر وقعه وآثاره فيمن يتعلق به وهم فئة محصورة في مكان محصــور وزمان محدد ، أما العلم فوقعه وآثاره إن كان ضلالاً يشمل الأمة كلهــا فــي شتى فئاتها ، وفي أماكنها المتعددة ، وليست ثمة زمان يحيط بهذه الآثار .

وفــي هــذا المجال يصح الاستشهاد بالخبر المأثور الذي رواه الإمام مسلم (في مقدمة صحيحه ١٤/١) حيث يقول فيه : " إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم " .

وفــي رواية للدارمي (في سننه ، المقدمة ٣٨/١) : " عن هذا العلم دين فلينظر أحدكم ممن يأخذ دينه " .

والحديث مروي بعذ في : كنز العمال للمتقي الهندي ، طبعة التراث الإسلامي ، القاهــرة ، بــلا تاريخ تحت رقم ٢٩٣١٦ ورقم ٢٩٢٧٣ ، وفي تاريخ جرجان للسهمي ، طبعة عالم الكتب ، بيروت بلا تاريخ رقم ٤٧٣ ، وفي العلل المتناهية لابن الجوزي طبعة الهند ١٢٤/١ ، وفي فهرس ابن خير ، طبعة الخانجي ، بالقاهرة ١٩٩٠م ص ١٨).

ولــيس يصح رد الحديث ، لأن الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله حكــم علــيه بأنه ضعيف جداً (على ما جاء في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٥٠٣/٥ حديــث رقم ٢٤٨١ طبعة المعارف ، بالرياض سنة ١٤١٧ هـ على ١٩٩٦م) ذلك أن تضــعيف الأستاذ ناصر الدين الألباني رحمه الله منصب على تضعيف السند وحــده ، وإن صح وقفه على ابن سيرين ، وهي عبارة أبي نعيم الأصبهاني التي يقول فيها : " والأصح أنه موقوف على ابن سيرين ".

ومن جانب آخر يقول القرطبي (في تفسيره ١٦/٢٦٦) ، وإلحاحنا على تفسير القرطبي راجع إلى أنه تفسير مهتم بالأحكام ؛ ولذا سماه بالجامع لأحكام القرآن : " وفي الآية (أي في قوله تعالى ﴿ إن جاءكم فاسق ﴾) دليل على فساد قول من قال : إن المسلمين كلهم عدول ، حتى تثبت الجرحة ؛ (أي : التجريح ، وعدم التعديل ، والتفسيق) ؛ لأن الله تعالى أمر بالتثبت (وهو يصحح معنى الحديث المتقدم حيث جاء في روايتيه بفعلين دالين على الأمر ، وهما : فانظروا ــ وفلينظر) قبل القبول ، ولا معنى للتثبت بعد إنفاذ الحكم، فإن حكم الحاكم قبل التثبت ــ فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة ".

ومن جانب آخر فإن علينا أن نوسع من دائرة دلالة الفاسق التي جاءت في الآية الكريمة ونحن نطبقها على المؤلفين الغربيين بحيث تقتصر على رد من ثبت بعد الفحص أنه مغرض ، ومتعصب ، ويخدم أغراضا مشبوهة .

أما إذا كان المؤلف الغربي محايدًا وموضوعيا ــ فإن دور النقد الداخلي أو الباطني أو الموضوعي أو نقد المتن تاريخيا ومنطقيا وعقليا ومعرفيا ، هو المحك الفاصل ، والقول الحاسم في قبول النظرية المعرفية الوافدة ، أو ردها ، ونقضها وهدمها .

ومن الخطر كل الخطر أن ينظر للمؤلفين الغربيين وإلى إنتاجهم المعرفي وعلى العيون منا نظارة الهزيمة النفسية ، أو نظارة الانبهار بمنجزات العقل الغربي ، أو ننظر إلى إنتاجهم العلمي وفي نفوسنا شيء من القابلية للاستعمار على حد تعبير المفكر الإسلامي الأستاذ مالك بن نبي .

ولا يصح كذلك قبول كل ما يرد من الآخر الوافد بدعوى انتمائه إلى المعسكر الغربي المتقدم المتحضر ؛ لأن القاعدة عندنا تقول إن كل أحد يؤخذ منه ويرد ، وأن التسليم المطلق لمقولات الغرب المعرفية من دون فحص أو نقد أو عرض لها على أصولنا ، وثوابتنا أشبه شيء بمن يلغي عقله ثم هو يسجد لصنم !

رابعاً

ضرورة أن تكون النظرية المعرفية الوافدة مما ينبني عليها عمل أو اعتقاد أو تجر نفعًا

لعلـــنا نذكر أن كثيرًا من الآثار الواردة من عصر النبوة الكريم كانت تعلمـــنا أن ندعـــو الله ســـبحانه أن يعلمنا ما ينفعنا ، وكانت تعلمنا كذلك أن نستعيذ من كل علم لا ينفع.

ودائـــرة الـــنفع هنا واسعة جدًا تشمل شتى مجالات الحياة ، ومختلف ميادـــين الحـــركة الإنســـانية ، أفرادًا وجماعات ، اجتماعيا وسلوكيا ونفسيا وعقليا ، ونظما وقوانين وتربية وأخلاقا .. إلخ.

بمعـــنى أن تكـــون عيـــن المبشر بالنظرية المعرفية الإنسانية الوافدة مفـــتوحة علـــى ما ينفع المجتمع المسلم ، تعين على رقيه ، وتقدمه ، وتعين علـــى إكسابه ما يقترب به من العمل الصالح ، وتسعى به نحو انسجام أبنائه وتـــزيدهم اعتقادًا في عظمة خالقهم ، وفي صحة معتقداتهم ، وتنحو بهم نحو كل فضيلة .

خذ مثلاً مما أريد أن أخبرك به :

(أ)

لقـــد ســـعت كثير من البلدان العربية في تطبيقها لكثير من النظريات المعرفـــية الوافـــدة في مجال التربية إلى منع العقاب البدني على تفاوت فيما بيـــنها فـــي التطبيق في مدارس التعليم العام . وهذا الاتجاه الذي تبنته بعض المـــدارس الـــتربوية فـــي البلدان العربية كان ــ كما قلت ــ بوحي من آثار المـــدارس التربوية الغربية التي تحاول استثمار فكرة حقوق الإنسان وحريته بشكل موسع شمل مجالات الحياة ، حتى الجنائية منها إذ سعت كما نعلم نحو إلغاء عقوبات جسدية من مثل الإعدام وإلغاء الحدود !

ولـــيس ثمـــة اعتراض من جانبنا على أن ننقل من النظريات الغربية الوافـــدة مـــا يكون مفيدًا لمجتمعاتنا . لكن ثمة عددًا من التساؤلات تدور كلها

حــول النيل من السياسة التربوية المتأثرة بالمناهج الغربية: ألا نرى في هذا القرار مخالفة واضحة لمبدأ الثواب ومبدأ العقاب اللذين طالما قررهما القرآن الكــريم والســنة الطاهرة ؟ وأن روح الشرع ترى ضرورة إثابة المحسن ، وعقــاب المســيء بدنــيًا ونفســيًا ، وألا نرى فيها مخالفة لطبيعة بناء الأمم والمجتمعات وسياسة حياتها ونظمها القانونية ؟

إن علمــاء الاجتماع يرون أن سببًا رئيسًا من أسباب تطور الجريمة وفشــوّها راجــع إلــى ضعف العقوبات ، وهو الاتجاه الذي تسير فيه الثقافة الغربية بدعوى تطبيق حقوق الإنسان ، والحريات العامة.

ثــم كــيف نفرق بن تلميذ جاد ملتزم ، صاحب علم ، وخلق ، وآخر مهمــل كسول رديء التحصيل والخلق ؟ فإن قال المتعاطفون مع فلسفة إلغاء العقوبــات البدنــية نلجــأ إلى التوبيخ أو إلى حرمانه من الحصة الدراسية ؟ أفلــيس كل ذلك ضد إنسانيته ؟ لأن في هذه الممارسات البديلة للعقاب البدني حــرمان مــن حقه الطبيعي في الحصول على المعرفة ؟ كما أن التوبيخ أو التأنيــب أو السخرية نوع من عقاب لكنه نفسي . المهم أننا بأي بدائل لاجئون إلى العقاب لأنه من طبيعة الأشياء . وقد يكون الحرمان من التعليم أو العقاب النفسي أشد إيلامًا وأوقع أثرًا .

وإن قــالوا نترك العقاب البدني والنفسي ، فإن من حقنا أن نسألهم : ألــيس فــي هذا المسلك مسوّغا لتطور السلوك الطلابي نحو زيادة الجريمة ، وزيادة الإهمال وعدم التحصيل والتأثير السلبي على بقية زملائه .

نحن أمام واحد من أمرين :

إمــا عقــاب مرحلــي نحمي به تاريخ إنسان قادم ، وتاريخ زملائه المجاورين له في قاعات الدرس . أو بين عقاب مُجرّم نعين فيه على اغتيال إنسانيته القادمة ، ونقترب به من دائرة المسخ ، ونضر بزملائه الآخرين.

إن قرار منع العقاب البدني تأثرًا بنظرية تربوية وافدة فيه :

١. مخالفة لطبيعة الإسلام القائمة على الثواب والعقاب.
٢. وإضــرار بالفــرد المهمل الممنوع عقابه بدنيًا ؛ لأنه سيستمرئ ذلك الإهمال ويطوره ، وفيه إضرار بالمجتمع المحيط به .

٣. وفـيه مخالفـة صريحة لطبيعة السنن الاجتماعية التي تحكم مسيرة المجـتمعات الإنسانية ؛ وإلا فلماذا نطارد الخارجين الذين نرى فيهم تهديـدًا للأمـن والسـلام الاجتماعيين ، ولا مجال للرد بأن هؤلاء مجرميـن كبار . أوليس إهمال تلميذ ، وعدوانيته ، واستهتاره بالقيم والأخلاق والنظم جريمة تستحق بعض العقاب البدني ؟ إن ترك مثل هذا شقاءٌ له ، وشقاءٌ للمحيطين به.

فهذه نظرية انبنى عليها عمل لكنه ضار بالإنسان والمجتمع.

(ب)

خذ مثلاً آخر :

إن الأسـلوبية المعاصـرة تهدف في إطار ما تهدف إليه — إلى بيان المنسـوب من غير المنسوب إلى المؤلف ، وتطبيق هذه النظرية الوافدة على الحديـث الضـعيف سـندًا يمكن أن يحسم إلى حد كبير هل هو من أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا .

كمـا أنهـا يمكن أن تعين في حسم الخلاف الدائر حول مكية بعض آيـات الكـتاب العزيـز أو مدنيتها . وهو ما حاوله الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض في كتابيه عن سورة طه وسورة يوسف دراسة أسلوبية . (طـبعة مكتبة زهراء الشرق القاهرة ٢٠٠٠م).

خامسًا

ضرورة أن تكون النظرية المعرفية الوافدة إنسانية الهدف

الإنســـان فـــي الإسلام يتمتع بحرية خاصة بديعة قلما تجد مثيلاً لها في النظم التشـــريعية والاجتماعـــية الأخـــرى ، ويكفي لإثبات هذا أن نعيد قراءة نص خطـــبة الـــوداع للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يودع أمته إذ يقرر فيها (ســـيرة ابـــن هشام ، طبعة المعرفة بلا تاريخ ، بيروت بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبـــياري وعـــبد الحفيظ شلبي ٦٠٣/٢ وما بعدها) " أن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا .... (و) كحرمة بلدكم هذا ... (و) كحرمة يومكم ".

وهـــو الحديـــث الذي رواه ابن ماجه في سننه (كتاب الحج ، باب حجة البني صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٣١١١) .

أضف إلى ذلك أن علماء الشريعة يعرفون الكليات الخمس التي جاء الشـــرع ليحمـــيها ، ويضـــمن صـــيانتها ويحافظ عليها . وكلها ترعى هذه الإنســـانية المقررة للإنسان بدءًا من الحفاظ على معتقده وانتهاء بالحفاظ على ماله ، مرورًا بالحفاظ على نفسه وحياته وعقله وعرضه.

فهل يصح بعد هذا التكريم وهذه الرعاية البديعة لإنسانية الإنسان أن نحتفي بنظريات معرفية وافدة تنال من الإنسان وقيمته وكرامته .

وهـــل يصح أن ننال من إنسان أسود ، ونتهمه بالنواقص ونزعم خلو الأبـــيض مـــنها تعصبًا ضد الأول باسم الحتمية الجغرافية حينًا ، وباسم علم (الإناسة) الأنثروبولوجي ، وعلم الأعراق حينًا آخر ؟!

وهـــل يصح بأن نبشر بفكرة نسبة المرأة إلى زوجها بعد انتقالها إليه مـــن بيـــت أبيها ، ونحرمها من حقها الإنساني في النسبة لأبيها ، باسم التقدم والرقي ؟

وهـــي يصـــح أن نستغل المرأة استغلالاً دنيئًا ورديئًا في الإعلانات والعمـــل باســـم حريـــتها وحقها في العمل ، والاستقلال ، وهو ضد إنسانيتها

وضـــد إنســـانية غيرها من الذين تعرضهم للغواية والفتنة ، وضد إنسانيتها ، لأنها أرخص أجرًا .

إن اســتخدامها بهذا الشكل إعلاء لشهوانية الإنسانية ، وإعلاء لمبدأ الاســتهلاك عنده ، ولمبدأ الترف المهلك . وكلها أمور ضد إنسانية الإنسان ؛ لأن فــيها إعــلاء للجســد وحده والنظر إلى الجانب المادي منه وإهمال أمر الروح وهو أعلى خطرًا من أي جانب آخر .

نحــن نــرى في مجموع المرتكزات الخمس على الأقل القدرة على تقويم النظريات المعرفية الوافدة في مجال العلوم الإنسانية .

والمــنهج نفســه صــالح مع بعض الفوارق للتطبيق على النظريات المعرفية الوافدة في العلوم التجريبية التطبيقية والطبيعية .

(أ)

أفليســت مــراجعة المرجعية العليا عندنا والمتمثلة في القرآن الكريم والســنة الطاهرة تنال من نظرية تشارلس داروين التي يمكن أن يستنبط منها أن الإنسان مرحلة راقية في سلم تطور الثدييات على ما قررته نظرية النشوء والارتقــاء التي بسطها في كتابه الذي ترجم إلى العربية (أصل الأنواع) . إن الله ســبحانه يقول : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [سورة التين ٩٥/٤]

(ب)

كما أنه يمكننا أن نقرر في قدر من الاطمئنان أن الحديث عن الطاقة فــي تعريفها عند علماء الغرب الطبيعيين : باعتبارها لا تفنى ! يتصادم من قريــب أو مــن بعيد مع آية كريمة وهي قوله تعالى : ﴿ كل ما عليها فان ﴾ [ســورة الرحمــن ٥٥/٢٦] **ولفظة (كل) عند علماء العربية من ألفاظ العموم والشــمول** (كمــا حكي المرزوقي في رسالته: ألفاظ العموم والشمول ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٨٠م) .

أضـــف إلـــى ذلـــك أننا نرى عددًا من تطويرات النظريات المعرفية الوافدة في مجال الطبيعيات التي أحدثها العلماء المسلمون الأوائل كانت على هـدي من مراجعة النص القرآني الكريم ، وتدبره على ما هو معروف مثلاً مـــن تصحيح الحسن بن الهيثم للنظرية الإغريقية القديمة المتعلقة بالإبصار، التـــي كانت تقضي بأن الإبصار يتم بسقوط الرؤية من العين ، وهو عكس ما قـــرره إن ابـــن الهيـــثم الذي قرر أن الإبصار يتم من أثر سقوط الضوء من المرئـــي على العين اهتداء بقول الله سبحانه : ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ [ســورة الإســراء ١٧/١٢] ؛ وقوله تعالى : ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فـــيه والـــنهار مبصرا ﴾ [سورة يونس ١٠/٦٧] ؛ وقوله تعالى ﴿ ألم يروا أنا جعلـــنا اللـــيل ليســـكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ [سورة النمل ٢٧/٨٦] ؛ وقوله تعالى: ﴿ الله الذي جعل الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ [سورة غافر ٤٠/ ٦١] (وراجـــع المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الحديث بالقاهرة ، سنة ١٩٨٨م صفحة ١٥٥) ، حيث رأى ابن الهيثم أن الاعتماد على صيغة اسم الفاعل (مبصرة) و (مبصرا) قائد إلى القول بأن الإبصار يتم بانعكاس الأشعة الضوئية من المرئي على العين الجارحة .

إن تدبـــر هـــذه المرتكـــزات قادر على تحقيق الانسجام المعرفي في نطـــاق الأمـــة المســـلمة ، وهو هدف نبيل في إطار مواجهة طوفان العولمة الجامح .

هل ثمة لغة كوكبية ؟
نقض النظرية

هـــناك موضـــوعات يحســـن الدخول في معالجتها مباشرة من غير اللجوء إلى مقدمات أو تمهيد . وأحسب أن هذه الورقة التي أكتبها في محاولة للإجابـــة عن هذا السؤال / الموضوع ، وفي محاولة لإظهار تجليات الجزء الـــنظري الســـابق من هذا البحث (هدم الصنم) ــ من قبيل هذه الموضوعات

التي لا تحتاج إلى مقدمات أو تمهيد ، بل تحتاج إلى إصابة الهدف من أقصر طــريق ممكنة ، ولاسيما أن القضية المطروحة جاء عنوانها سؤالاً على غير المألوف عادة في مثل هذه المواقف والأحوال .

وربما يتساءل القارئ الكريم : لماذا اخترنا وضع لفظ : (الكوكبية) فـــي عــنوان هــذا الجزء مع أن الشائع هو استخدام مصطلح (العولمة) ؛ فـــالملاحظ أن الأدبـــيات العربـــية في المجالات الثقافية ولاسيما علم اجتماع المعـــرفة ، والمجالات السياسية والاقتصادية ــ ركنت منذ فترة إلى الترويج لمصـــطلح (العولمـــة) ؛ وهـــو المصـــطلح الذي طفا في عنوانات الكتب المـــترجمة والمؤلفة ، ولافتات الندوات ، وحلقات النقاش في البلدان العربية المختلفة .

واســـتخدامنا للفـــظ (الكوكبـــية) تـــرجمة للمصطلح الإنجليزي : (Globalization) ، يأتـــي محاكـــاة من جانبنا لما صنعه الدكتور شكري مجـــاهد الأستاذ بقسم اللغة الإنجليزية في كلية التربية بجامعة عين شمس في ترجمـــته لكـــتاب اللغوي الإنجليزي المعاصر دافيد كريستال الذي عنوانه : (اللغة الإنجليزية لغة كوكبية) . وهو الكتاب الذي نشره مركز تطوير اللغة الإنجليزية بالكلية المذكورة ، والذي تشرف عليه الدكتورة منى أبو سنة .

وهذا الجزء التطبيقي يرى في نفسه في أحد الجوانب حاشية على هذا الكـــتاب يحـــاول يسقط مقولته ، وينال من قيمتها ، ويظهر تهافت الأدلة التي اعتمدها وقام عليها .

هذا جانب من إجابة السؤال بدا واضحًا.

الجانـــب الثاني : أن لفظ (الكوكبية) أظهر في الدلالة على الشمول والاتساع المكاني ، وآكد في الدلالة على بعد الهيمنة البادي خلف كل ترويج لمصـــطلح العولمة ؛ لأنه نسبة إلى الكوكب ، وليس ثمة كوكب صالح للحياة الإنســـانية إلـــى الآن غـــير كوكبـــنا الأرضي ، وليس في المعجمات الثنائية الإنجليزية العربية ، إشارة إلى هذا البعد الكوكبي ، فضلاً عن أن عددًا كبيرًا مـــنها لـــم يصـــنع لهذا المصطلح مدخلاً (راجـــع المورد ، طبعة سنة ١٩٩٤م ، والقـــاموس المدرسي طبعة سنة ٢٠٠٢م) غير أنه ثمة إشارة سريعة إلى هذا البعد

الكوكبـــي جـــاءت فـــي شـــرح المدخـــل الوصفي : (Global) في طبعة Grolier من معجم وبستر الجديد: (New Webester's Dictionary) (١٦١/١) مـــن طـــبعة الولايـــات المـــتحدة الأميريكية سنة ١٩٩٢م) يقول فيه : = global involving the whole world وتحـــت مدخـــل آخر هو (globe) يأتي تصريح بأن هذا الجذر اللغوي لهذه الألفاظ جميعا يدور حول معنى الأرض؛ أو الكوكب : (Earth) .

وقـــد حشد اللغوي الإنجليزي صاحب الكتاب ، مجموعة من القرائن رأى فـــيها مســـتندًا يقـــود إلـــى النتـــيجة التي زعمها وروج لها ، وهي أن الإنجلـــيزية لغـــة كوكبـــية . وهـــي المقولة التي يكمن وراءها فكر الهيمنة والسيطرة ، ومحاولة فرض ثقافة واحدة ، في إطار ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، القائم على فلسفة تستمد أصولها من الفهم اللوثري (نسبة إلى مارتن لوثـــر) للنصـــوص الإنجيلية ، كما يقرر اللواء الدكتور فوزي محمد طايل رحمه الله في كتابه (النظام العالمي الجديد) وهذه القرائن تدور كلها في فلك الـــتعداد الســـكاني والـــتوزيع (الديموغرافي) لمجموع الناطقين بالإنجليزية بوصـــفها لغـــة أولى أو لغة أمًّا (Native Language) ، أو الناطقين بها باعتـــبارها لغـــة ثانية . بالإضافة إلى إحصاءات التمويل والإنفاق الحكومي والأهلي على تعليم اللغة الإنجليزية في بلدان العالم المختلفة .

ولم ينس دافيد كريستال الارتكان إلى الوضع الحضاري المتقدم الذي تشـــهده الأمم الغربية ، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية ، في استنتاج ما ذهـــب إلـــيه ، مضيفًا إلى كل ما سبق ادعاءه سهولة تعلم الإنجليزية ، وخلو أبجديتها من المشكلات التي تعاني منها الأبجديات الأخرى .

وهـــذه القرائـــن نفسها سبق للغة العربية أن حازتها في أزمنة مدها الحضاري الذي عايشته شعوبها بعد امتداد حركة الفتوحات الإسلامية ، وهو مـــا ظهر جليًّا مع القرن الرابع الهجري ؛ قرن الحضارة العربية الإسلامية ، وهو الأمر الذي شهد به جمهرة من مؤرخي الحضارات من أمثال آدم ميتز، وجوستاف لوبون ، وفون جرنباوم .

والعـــودة إلـــى التعداد السكاني الناطق بالعربية في تلك الأيام الغابرة يصب في البابة نفسها ، ويمكن أن يستنتج منه أن العربية كانت لغة كوكبية ، وفـــق اســـتنتاجات دافيد كريستال نفسه ، لكن العربية لم تسع يومًا إلى فكرة الهيمـــنة أو إلغاء الحدود الثقافية الفاصلة بين ثقافات الشعوب المختلفة ، وإنما اجـــتهدت للحفاظ على الهويات المختلفة في إطار من الوحدة الكبرى . بمعنى أن الإســـلام صـــنع سياقًا عامًا للثقافة غير متغافل عن الفوارق الجزئية بين الثقافات المختلفة وهو ما يمكن أن يطلق عليه التنوع في إطار الوحدة ، وهو مـــا ظهـــر واضـــحًا في التطبيقات الحضارية لشعوب الأمم الإسلامية ، في الكـــتابة والفنون والعمارة ، وهو ما ظهر واضحًا كذلك في عدم اغتيال عدد مـــن لغات الشعوب الإسلامية من أمثال اللغة الفارسية ، والأوردية والتركية وغيرها .

وتأتـــي إجابتـــنا عن هذا السؤال / الورقة الذي يشكل عصبها لتنحاز إلى جانب السلب والنفي ، اعتمادا على عدد من الأدلة المتنوعة .

والورقـــة تقـــرر ـــ مســـتبقة الأدلة ـــ أن مقولة دافيد كريستال حول كوكبـــية اللغـــة الإنجلـــيزية ***وهم ظهر في ثوب علمي*** ، وخرافة احتشد لها احتشـــادًا منطقيًا لتنطلي على القارئ . والأدلة التي اعتمدناها لإسقاط مقولته تـــأخذ أشـــكالا نصـــية وحضـــارية واجتماعية ولغوية وكونية ، وإليك بيانها موجزًا فيما يلي :

أولاً

السنن الكونية تنال من مقولة كوكبية الإنجليزية

مـــن السنن المقررة منذ بدء الخلق أن الله فطر الناس على الاختلاف لونـــا وعرقا ولغة ولسانا ، وهو ما أثبته الكتاب المقدس في أكثر من موضع من سفر التكوين ؛ أول أسفار التوراة .

مـــنها الموضع الذي يعزو رسو السفينة ؛ سفينة نوح إلى مكان قريب مـــن مدينة أرفكشاد ، بالقرب من الحدود الأرمنية والكردستانية (سفر التكوين ٨/٤) .

ومـــنها كذلك الموضع الذي يعزو رسو السفينة نفسها إلى مدينة بابل العراقية كما جاء في السفر نفسه (١/١١) .

وإذا كـــان اليقيـــن منعقدًا عندنا وعند علماء العهد القديم الأثبات على أن: " مؤلــف سفر التكوين لم يستند إلى أدلة علمية يقينية بل كان يأخذ بقول الــرواة القصاصيــين " . (فصول في فقه العربية ص ٣٩). فإن النتيجة النهائية ترى إسقاط الاعتماد على تلك الروايات .

كمــا أن مجمـــوع الآراء التي وردت فيه كما ترى متناقضة يضرب بعضـــها رقاب بعض ، كما أنها خيالية لا مستند لها من حقيقة (انظر : اللغات الســامية ، لــنولدكه ٢٣ وفصول في فقه العربية ٣٩) ، لكننا أوردنا هذه الإحالات لنقرر أن الثقافة الغربية في طموحها الكوكبي تنكرت لنصوص كتبها المقدسة التـــي تعوق هذه الفكرة ، وأغفلت هذه السنة الكونية القاضية باختلاف اللغات والألسنة .

والنصــــاري كمـــا نعلـــم يؤمنون بالكتاب المقدس كله بعهديه القديم والجديد . فلمصلحة أي شيء تم اغتيال هذه النصوص ؟!

أضـــف إلى هذا أن الكتاب العزيز ؛ القرآن الكريم أصح كتاب على ظهر الأرض وهو الكتاب الذي توفرت له كل شروط الصحة والتواتر سندًا ، وســلم مـــن التناقض والخلط متنًا ــ يقرر في آية محكمة ظاهرة الدلالة هذه السنة العامة .

يقــول رب العـــزة سبحانه : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ [سورة الروم ٣٠/٢٢].

والــتوقف أمام التعبير القرآني المعجز (آياته) قاض بما أخبرتك بـــه مـــن شـــأن هذه السنة الكونية ، وهو ما أكده المفسرون المسلمون على اختلاف مداوسهم التفسيرية .

يقـــول الإمــــام أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسيره (٣١/١١ وما بعدهــا طـبعة دار الفكــر بــيروت ١٤٠٨هــ / ١٩٨٨م) : " واختلاف في منطق ألسنتكم ولغاتها " .

وإذا كـــان الطبري عبر عن دلالة الآية الكريمة تعبيرًا خاطفًا موجزًا عمـــا نرمــــي إلــــى بيانه فإن القرطبي كان أصرح في الإبانة عن مراد الآية عـــندما قـــال في تفسيره (١٩/١٤ طبعة عبد الرازق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بـــيروت ١٤١٨هـــــ / ١٩٩٧م) : " اللســـان فـــي الفم وفيه اختلاف اللغات من العربـــية والعجمـــية والتركية والرومية ". وهو بهذا التصريح الواضح على اخـــتلاف اللغات عن طريق ذكر أمثلة لأهلها كان أوضح وأصرح في الدلالة على اللغات الأمهات وليس اللهجات كما يمكن أن يؤول كلام الطبري أو كما هو معلوم من إحدى دلالات لفظ (لغات) في المعجم العربي.

وهـــو الأمر الذي يؤكده الفخر الرازي عندما يقول في تفسيره الكبير (١١٢/١٥ طـــبعة خليل الميس ، دار الفكر بيروت سنة ١٤١٥هـــ / ١٩٩٥م) إن الآية تقـــرر : " اخـــتلافهم ، فـــإن غريبين هما أخوان إذا تكلما بلغة واحدة يُعرف أحدهما من الآخر حتى أن من يكون محجوبًا عنهما لا يبصرهما يقول : هذا صـــوت فـــلان ، وهـــذا صوت فلان الآخر . وفيه حكمة بالغة ؛ وذلك لأن الإنســـان يحتاج إلى التمييز بين الأشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره ". ومن قال المراد : اختلاف اللغة فلا إنكار عليه ولا بأس بما قال.

وهـــذا الـــذي يلـــوح بـــه الإمام الفخر الرازي من إرادة التمايز بين أصـــوات المتكلمين بلغة واحدة ولو كانا أخوين ــ هو ما يعرف في اللسانيات المعاصـــرة والأصوات الحديثة تحت مصطلح جديد هو : البصمة الصوتية ، لا يتناقض مع تفسير الآية الذي نميل إليه وأجمع عليه المفسرون.

وهـــو لا يـــرفض القـــول بأن تأويل الآية ذاهب إلى اختلاف اللغات والألسنة ، وإن جاء بهذا الرأي ثانيا غير متصدر ، ولعله أخّره ؛ لأن الدلالة فيه جلية واضحة ، فأراد أن يجلي وجهًا آخر فقدم ما رأيت.

ولقد دأب القرآن الكريم على استخدام لفظ (اللسان) مفردًا ، وجمعًا بمعنى اللغة أو اللغات في غالب المواضع التي ورد فيها ومنها :

١. قولـــه تعـــالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [سورة إبراهيم ٤/١٤ ، وسورة النحل ١٠٣/١٦ ، والشعراء ١٩٥/٢٦]

٢. وقولــه تعالى : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [سورة النحل ١٦/١٠٣]

٣. قولــه تعــالى : ﴿ وأخـــي هـــارون هو أفصح مني لسانًا ﴾ [سورة القصص ٢٨/٣٤]

٤. وقوله تعالى ﴿ وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا ﴾ [سورة الأحقاف ٤٦/١٢] (وراجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بدون تاريخ ٢/٣٨٢)

والمعنى فيها كلها منصرف إلى اللغة.

ثانيًا

مخالفة المقولة لحقائق الواقع الذي تشهد به الجغرافيا اللغوية

ومن جانب آخر يؤكد إجابتنا النافية لمقولة دافيد كريستال عن كوكبية اللغة الإنجليزية ما يشهد به الواقع اللغوي واللهجي ؛ فالجغرافيا اللغوية تؤكد أن العالم يتنازعه عدد ضخم من اللغات والألسنة ، وعدد أكبر منه بكثير من اللهجــات . وهــو الأمــر الذي أكده دافيد كريستال نفسه في دائرة معارف كامبردج اللغوية التي أصدرها ، وحدثها ، ففي آخر طبعة لها يقرر أن لغات العــالم تشــهد تناميًا متزايدًا ، عدّ منها في الصين وحدها ما يزيد على ألف لغة .

فــبإزاء هــذه الحقــيقة ، وأمام السؤال عن كيفية التوحيد اللغوي أو اللهجي المستحيل ، تنهار مقولته القاضية بكوكبية لغته.

أضــف إلى ذلك أن المحاولات السابقة لجمع الألسنة على لغة واحدة عالمــية ، فــي واحدة من الطموحات نحو توحيد الجنس البشري ، وتسهيل الــتفاهم بيــن أبنائه ، فيما سمي اصطلاحًا بالاسبرانتو ــ قد أصابها الإخفاق لتناقضــها مــع السنن الكونية من جانب ، ولمخالفتها حقائق العلم من جانب آخر .

وحــول التغــير الدائم للغات واللهجات فيقول ماريو باي في كتابه : (أســس علم اللغة ، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة سنة ١٩٩٠م ص ١٣٣) فــي معــرض حديثه عن عيوب الأطالس اللغوية : " وهناك واحد مــن أهم العيوب التي تقلل من قيمة الأطلس اللغوي ، وهو أنه لا يثبت على مــر الزمن ، ما دامت اللهجات المحلية تتغير ، ربما بدرجة أسرع من اللغة الأدبية (الفصحى) ".

هــذه الحقــيقة القائلــة بالتغــير الدائــم للغات الخطاب ؛ العاميات واللهجــات، وللغــات الأدبية أو الفصحى تقف حجر عثرة أمام دعوى دافيد كريستال ، وتقلل من قيمتها.

ومــن جانــب آخــر ، علينا أن ندرك أنه مادامت طرائق الناس في حيواتهم مختلفة ، وطبقاتهم مختلفة ، فإن ذلك ولا شك ينعكس على لهجاتهم ، ويــزيد من عامل الفرقة في النشاط اللغوي ، يؤكد هذا " أن السبب الرئيسي لنشــأة اللهجات المحلية يرجع إلى اختلاف الأقاليم ، وما يحيط بكل إقليم من ظــروف ، وخصائص تاريخية وجغرافية وسياسية (وحضارية واجتماعية) علــى حين أن السبب الأساسي لنشأة اللهجات الاجتماعية يرجع إلى اختلاف الــناس فــي الإقليم ، وما يكتنف كل طبقة من شئون في شتى مدار الحياة ". (المدخــل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله ، مكتبة الخانجي ٢٠٠٠م ص ١٦٩)

وأيا ما كانت اللهجة الناتجة فإن ثمة اتفاقا على أن اختلاف الناس في الأقالــيم ، واختلاف مظاهر نشاطات الحياة ، واختلاف الطبقات التي ينتمون إليها ، هذا في الإقليم الواحد ، فما بالنا بالعام كله ، أو بالكوكب الأرضي في دعوى دافيد كريستال ــ قائد إلى اختلاف اللغات واللهجات.

وممــا يؤكد هذا ما يرويه التاريخ ويتعاطاه علماء اللغة والحضارات مــن موت عدد كبير من اللغات التي كانت حية في أزمنة سابقة ، ونهضة ما كان لهجات في ظلها ليتبوأ مكان اللغات في الموقع الجديد ، ومن ثم نتج عن هذه اللغات الجديدة لهجات لها .

حــدث هــذا مــع اللاتينــية التي ظلت لغة العلم في الغرب لأزمان مــتطاولة ثــم انحصرت لتكون لغة التراتيل الدينية في الأديرة والكنائس ، ثم ماتت وورثتها بناتها ؛ الفرنسية والأسبانية والبرتغالية .. إلخ.

ثــم نشأ عن هذه اللغات لهجات أخرى تهدد مستقبلها وتنذر باغتيالها مثلما يحدث في اللغة الفرنسية من وجود لهجات شمالية وجنوبية بروفنسية ، ولــولا القوانين التي سنتها فرنسا في محاولة للحفاظ على اللغة الفرنسية حية قوية (من مثل قانون الحفاظ على الفرنسية) وتحريم استخدام غيرها في لغة الإعــلام والحــياة ــ لانهارت الفرنسية ، ولتحولت لهجاتها إلى لغات مستقلة مثلما حدث للاتينية تمامًا .

والأمــر نفســه حــدث مع السامية الأم التي ماتت وورثتها لهجاتها العربية والعبرية والآرامية وغيرها حتى صارت هذه اللهجات بعد موت الأم لغات مستقلة تفرع عنها بدورها لهجات متعددة متنوعة .

هــذه كلهــا حقــائق تــنال مــن صدق الدعوى التي يطلقها اللغوي الإنجلــيزي الشــهير ، وتحكــم علــيها بالتهافت من جانب ، وتظهر وجهها الاســتعماري الــذي يرمــي إلــى فرض الهيمنة ، إحدى طموحات العولمة والكوكبــية الأساسية . فاغتيال اللغات الأخرى غير الإنجليزية ، ولاسيما أن اللغــة ليســت نظامًــا صــوتيًا ومعجما لفظيا فحسب وإنما هي حاملة للقيم والأعراف والتقاليد والأديان ، والدعوى إلى أن تكون الإنجليزية لغة كوكبية خطــوة جــبارة على طريق الهيمنة والتسلط ، وفرض قيمها وأنساق أخلاقها ونظمها وأعرافها وتقاليدها ومفاهيمها.

وحــركات الاســتعمار التي عرفها التاريخ كانت تتذرع دائمًا بفرض لغاتهــا في البلدان المستعمَرة ، وتسعى إلى اغتيال اللغة الأم لتلك البلدان التي اســتعمرتها ، لــتحقق في خطوة تالية فرض قيمها وثقافتها وأخلاقها وآدابها ونظم حكمها ومعيشتها وطرائق تفكيرها وشعورها على شعوب تلك البلدان .

كما أن صعوبات أخرى فوق التصور تحيط بهذه الدعوى إلى كوكبية الإنجلــيزية ، يأتــي في مقدمتها هذا التراث الضخم المكتوب بلغات الأرض المخــتلفة ، فهل تعي هذه الدعوى أنها تهدف إلى اغتيال هذا التراث المكتوب

بغـــير الإنجلـــيزية ؟ وهل تعي هذه الدعوى أنها ستفصل الأجيال التالية عن تـــراثها لأنها ستحول بينه وبين قراءته إذا ما صارت الإنجليزية لغة كوكبية وحيدة ؟ وهذا هو بعض المقصود من هذه الدعوى التي تهدف إلى رد الناس إلـــى ثقافـــة واحـــدة بعد القضاء على الثقافات المحلية والإقليمية عن طريق موت لغاتها ، ونفي تراثها واغتياله .

ولا يمكن القول بأن الإنجليزية قادرة على نقل هذا التراث إلى لغتها، فهذا مستحيل من الوجود كافة ، عمليًا وماديا ومنطقيًا .

إن حقـــائق اللسانيات قديمًا وحديثًا تعترف بحتمية الاختلاف اللغوي واللســـاني ، ظهر هذا في النقول التي مرت بك ، كما ظهر في تعريفات اللغة فـــيما جاءنـــا عـــن علمـــاء اللغة العرب وغير العرب ، ومراجعة أقدم هذه الـــتعريفات التـــي وصلت إلينا تؤكد هذا الاختلاف ، يقول ابن جني في كتابه الخصـــائص (٣٣/١) : " إنهـــا أصـــوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " وتـــأمل تعبـــيره (كل قوم) يعكس هذا التعدد المفترض من جانب كما يدلك على وعي اللغوي العربي بحقيقة اختلاف اللغات كافة قديمًا وحديثًا من جانب آخر.

واعـــتماد دافيد كريستال على التوزيع الديموغرافي السكاني للناطقين باللغـــة الإنجليزية في العالم موهم من أكثر من جهة ، لعل أولها هو أن نسبة الـــنمو الســـكاني في أوربا وأمريكا الشمالية وهما عصب الخريطة الجغرافية المشـــكِّلة لغالب الناطق بالإنجليزية كلغة أم .Native L لا تتعدى نسبة ١% (واحـــد بالمائـــة) بأي حال من الأحوال ، على حين أن نسبة النمو السكاني فـــي العـــالم العربي (الذي لغته الأولى هي العربية) والعالم الإسلامي الذي لغـــته الثانية هي العربية بحكم انتمائه للإسلام تزيد نسبة النمو فيه على ٣% (ثلاثـــة بالمائة) ؛ يقول الدكتور علي حسين شلش في كتابه (جغرافية أمريكا الشـــمالية ص ١٥٠ طـــبعة جامعـــة البصـــرة بـــدون تاريخ) إن " الاتجاه العام هو الانخفاض في نسبة النمو خلال القرن الماضي " .

وبعـــرض نسب النمو السكاني نجد أن العالم العربي والإسلامي يمثل الـــذروة إذا ما قورنت نسبة النمو فيه بغيرها؛ ففي أوربا تتراوح نسب النمو

من ٠,٢ % إلى ٠,٩ % باستثناء الشعوب الإسلامية من مثل تركيا الإسلامية وألبانيا وجبل طارق .

وفـــي إفريقـــيا تتراوح نسب النمو من ٢,٥ % إلى ٣ % وفي آسيا تـــتراوح مـــن ٢,٥ % إلـــى ٣,٥ % (راجع جغرافية القارات للدكتور علي موسى والدكتور محمد الحمادي ص ٢٨؛ ٢٣٨؛ ٤٠١ طبعة دار الفكر دمشق ١٤١٦هـ/١٩٩٥)

أضـــف إلـــى هذا أن كثيرا من التجمعات السكانية الغربية تتنازعها أعـــراق لغوية مختلفة؛ ففي كندا مثلا ٤٤ % من البريطانيين أصحاب اللسان الإنجلـــيزي والنســـبة الباقية المكملة للمائة موزعة على اللغات الأخرى كما يلـــي: ٢٨,٧ % للفرنســـيين، ٦,١ % للألمان ، ٣,٤ % للإيطاليين ، ٢ % للهولنديـــين ، ٢,٧ للـــروس ، ١,٢ للأقليات الآسيوية، ونسب أخرى أقل من ذلك بكثير للأفارقة والزنوج والهنود الحمر .

ولـــو وضـــعنا كـــل هذا في الاعتبار لخرجنا بنتيجة مؤداها أن أكثر الناطقين بالعربية وهم شعوب البلدان العربية كلغة أم والناطقين بها كلغة ثانية بحكـــم انـــتمائهم للإســـلام يشكلون الغالبية العظمى من سكان العالم من هذا الجانـــب . كمـــا يتزايد هذا الاستنتاج مع اعتبار التناقص المستمر في الكثافة السكانية لسكان أوربا وأمريكا (راجع: جغرافية العالم الإسلامي للدكتور صلاح الدين الشامي والدكتور زين الدين عبد المقصود، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٩٠م)

ولـــو صحت الأدلة التي ساقها دافيد كريستال ــ وهي غير صحيحة ــ لكانت العربية هي اللغة الأولى لأن تكون هي اللغة الكوكبية من أكثر من جانـــب، ولا سيما أن الدليل الديموغرافي يصب في اتجاه تقدمها ، بالإضافة إلـــى ظـــرف آخر لم يتوفر لغيرها من اللغات، وهو ارتباطها بالكتاب الكريم المحفـــوظ على مر الزمان ، الذي لا مجال لتحريفه أو ضياعه . وهي اللغة الوحيدة تاريخيا التي عاشت ما يقرب من سبعة عشر قرنا ، بحساب الجاهلية والإسلام ، وهو الأمر الذي لم يتح لغيرها كذلك .

ثالثا

عدم اتساق المقولة مع حقائق اللسانيات عموما ومع الفلسفة المعاصرة

من المقرر في علم اللغة المعاصر، الذي يؤرخ له ببداية القرن الثامن عشـــر افتراضا، وببداية القرن العشرين حقيقة، بعدما تخلص من أسر الرؤى القديمـــة ــ أنـــه ينأى بنفسه عن تفضيل لغة على لغة أخرى، وأن ثمة اتفاقا علـــى أن كل لغات البشر صالحة لأداء وظائفها المتنوعة، وأن وصف لغة ما بالـــتقدم أو البدائـــية أو الســـذاجة إنما هو في حقيقة أمره راجع إلى وصف أصـــحاب اللغة الناطقين بها، فليس ثمة لغة تعجز عن التعبير عن مقتضيات أصحابها وحاجاتهم، وإنما مكمن العجز في المستخدمين لهذه اللغة أو تلك.

وقـــد استطاعت لغات كثيرة استيعاب العلوم الحديثة على الرغم من أن أبجدياتهـــا مصورة، وهو ما يعد شكلا بدائيا وساذجا في عرف ذلك الفرع مـــن الدراسات اللغوية . حدث هذا مع اليابانية والكورية والصينية، كما حدث هـــذا مـــع لغات كانت في حكم اللغات الميتة، عندما استطاع الصهاينة إحياء لغـــتهم مرة أخرى واستخدمها أبناؤها في مجالات التعلم والاتصال والإعلام والتجارة .

إن الـــزعم بـــأن الإنجلـــيزية أصـــلح من غيرها في مجالات الحياة المخـــتلفة أمر لا يقره اللسانيون المعاصرون من باب أنه ليس ثمة لغة أصلح مـــن لغة في هذا المجال. هذا بالإضافة إلى سقوط مقولات الحتمية بعد بزوغ فجر الفلسفة النسبية .

مـــن مجمـــوع هـــذه الأدلة يتبين لنا سقوط مقولة اللغة الكوكبية من جانـــب، وينبغـــي الـــنظر إليها من زاوية أنها إحدى الأسلحة التي يتذرع بها العالم الغربي لفرض ثقافته وهيمنته وسطوته على بقية الشعوب الأخرى، في محاولة لمحو هوياتها وثقافاتها المختلفة .

ومـــن أســـف أن يُزج بالعلم في هذا المضمار وأن يُسيس وأن تُلوى أعناق الحقائق للمساعدة في هذا المجال، مما يذكرنا بالدور القذر الذي قام به

المستشـــرقون فـــي سبيل التمهيد للحملات الاستعمارية التي شنها الغرب في أواخـــر القرنيـــن الثامن عشر والتاسع عشر على البلدان العربية والإسلامية وغـــيرها، عـــندما قاموا بدراسات لعلوم الشرق والإسلام، ثم وضعوا تقارير لخدمة حركات الغزو الغربي الذي اكتسح عالمنا زمنا طويلا .

وهـــا هو ذا الغزو يعود من جديد والتمهيد له يعود من جديد ، تحت عنوان جامع جديد هو العولمة أو الكوكبية .

محتوى الكتاب

طبع بمطابع الدار الهندسية
تليفون/فاكس : ٥٤٠٢٥٩٨